بسم الله الرحمن الرحيم

سيدنا إبراهيم υ ... «أمة في رجل»

أ.د. صلاح سلطان

المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في مملكة البحرين

www.salahsoltan.com

مقدمة

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ } [الأنعام : 1]، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج : 75]، ونشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلق ه وخليله ، نشهد أنَّه بلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل دين ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد ....

موضوع بحثنا هو " سيدنا إبراهيم أُمَّة في رجل "، لقوله تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [النحل : 120 - 121] .

أما عن سبب هذا البحث فمنذ أكثر من عشر سنوات، وفي لحظات شفافية مع الله وتدبر فيما أتلو أو أقرأ في الصلاة، فلما وصلتُ إلى الصلاة الإبراهيمية في التشهد ثار سؤال في ذهني: لماذا نقول في كل صلاة اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد؟.

وكنت أقول: إن رسولنا ρ هو سيد الأولين والآخرين ، فكيف كان من شعائر صلواتنا أن نسأل الله أن يصلي على نبينا وأن يبارك عليه كما صلى وبارك على سيدنا إبراهيم ؟.

ولاحظت بالنظرة السريعة أن سيدنا إبراهيم دون بقية الأنبياء له أثر واضح في حياتنا ، فقد سمّانا المسلمين ، كما قال سبحانه: { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ } [الحج : 78] ، ثم هناك الأضحية ومناسك الحج تدور حول سيدنا إبراهيم υ لتخليد هذه القوة في عقيدة التوحيد ، وهذه الصورة من الأخذ بالأسباب ومواجهة نز غ ات الشيطان والنزول على أمر الله عزَّ وجل .

إن عيد الأضحى جائزة من الله تعالى لسيدنا إبراهيم υ بعد أن نجح في اختبار شديد ، ولذا صار القدوة الأولى، بل أكثر الأنبياء الذي ن أكدَّ الله أن نتبع ملته م: { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [النحل : 123]، وقال تعالى: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [البقرة : 130].

فقورتُ أن أنتقل من النظرة السريعة إلى أن أُرجع البصر كرتين، بأن أُفرد ختم ة للقرآن باحثاً فيها عن سيرة وخصائص سيدنا إبراهيم υ في جولات تدخل تحت عنوان فقه التدبر . ثم جمعتُ ما تيسر لي من أحاديث النبي ρ في الصحاح خاصة، وفي كتب السنن ومرويات الحديث عامة؛ كي أنظر نظرة كلية تاركاً للنصوص أن ترسم لنا الصورة الحقيقية لسيدنا إبراهيم υ. وهي منهجية علمية أرى أنها ضرورية مُفادها: أن نأخذ موضوعاً واحداً نتعقبه في القرآن والسنة تدبراً، فنخرج بمعان جمة وآثار طيبة ، وقد كانت جولة ما أروعها وما أجملها وما أر وقها . وكم نغفل عن أفكار وحقائق و لذات ومتع هي في صلب القرآن والسنة، وهدي سيد الأنام وسيرة أنبياء الله عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام . وكان أول ما استقر في ذهني بعد هذه الجولة أ ن هناك رجلاً كأُمَّة ، كما أ ن هناك رجلاً كَأُمَة ، وفارق هائل بين من يعيش هموم أُمَّة ومن يعيش هموم أمَة، أمَة لا تهتم إلا بلباسها وطعامها، أما من يعيش هموم أُمة فينظر إلى حاضر ه ومستقبل ه، ويتضاعف عطاؤه إلى مجتمعه وأمته، وهكذا كان سيدنا إبراهيم υ بحقٍ أُمَّة في رجل.

ومع العودة إلى جولات التدبر انتهى بي التفكر إلى أن سيدنا إبراهيم υ الذي ذُكِر في القرآن الكريم (69) مرة هو خليل الله ا لذي جعل من سيرته عنواناً على اكتمال دوائر الالتزام في كل حلقاتها ، التزام في العسر واليسر ، التزام في التعامل مع أهل الكفر والإسلام، التزام في التعامل مع أبيه وزوجه وولده ومجتمعه وأمته وعالمه.

أما نحن فعندنا فجوات هائلة في دوائر الالتزام، فبينما نجد أخا حريصا على أن يصلي في الصف الأول ، وإذا فاتته الركعة الأولى وتكبيرة الحرام وهو مع الإمام عاتب نفسه أشد العتاب - وهو أمر حسن - لكن قد تجد منه عدم التزام بأداء الدين في الوقت المحدد، فتشعر أن هناك فجوة بين التزامنا في المسجد والتزامنا خارجه، في الوقت الذي يجب أن نخرج

بمبادئ الإسلام من الجوامع إلى الشوارع ، ومن الجامعات إلى المؤسسات ، حتى يبقى الإسلام ساطعاً في كل مكان من أرض الله عز وجل .

ومن هنا أحببتُ أن أبيِّن في هذه الدراسة التوازن المتميز في اكتمال جوانب الالتزام السبعة، مما جعل سيدنا إبراهيم υ قدوة لكل إنسان وفي أي موقع، وأردت أن ننتقل من التأصيل إلى التطبيق على واقعنا؛ بأن نعيش هذه الجوانب مع شجاعة في الانتصاف من النفس "الشجاع من انتصف من نفسه"، بأن نُسقط هذا المثال الراقي مكتمل الحلقات في الالتزام بأمر الله على حياتنا الخاصة لنبدأ مشواراً في مجاهدة النفس لسد مواضع الخلل وتجنب أسباب الزلل في الفجوات التي لا تخلو منها نفس بشرية.

وسوف أتعرض لذلك بتفصيل من خلال جوانب ثلاثة:

المطلب الأول: سيدنا إبراهيم υ بين القرآن والسنة.

المطلب الثاني: سيدنا إبراهيم υ واكتمال جوانب الالتزام السبعة.

المطلب الثالث: فجوات في حياتنا وحلول من سيرة سيدنا إبراهيم υ.

فإلى البحث إخواني وأخواتي.. أحبابي في الله تعالى، حيث عشتُ معه بعقلي وقلبي ووجداني أياماً وليالٍ، شهوراً وسنين، كانت ولا تزال أعذب الأوقات، فأحببتُ أن يذوق إخواني من حلاوة ما ذقتُ، وأن يستقر لديهم ما به أيقنتُ أننا أحوج ما نكون إلى وعي بسيرة سيدنا إبراهيم υ مكانة عند الله والمؤمنين، والتزاماً، وسداً لفجوات وعلاجاً لثغرات لا يخلو منها أحد في حياته الخاصة والعامة.

والله ولي التوفيق...

أ. د.صلاح الدين سلطان

عرفة والأضحى

مملكة البحرين

1429هـ

المطلب الأول : سيدنا إبراهيم υ في القرآن والسنة

الجانب الأول: سيدنا إبراهيم υ في القرآن الكريم:

لسيدنا إبراهيم υ حضور كبير في القرآن الكريم، فقد سمى الله تعالى باسمه سورة كاملة، وذُكر في سور القرآن (69) مرة، بيانها كالتالي:

- ✓ "15" مرة في سورة البقرة.
- ✓ "7" مرات في سورة آل عمران.
- ✓ "4" مرات في سور: النساء، والأنعام، وهود، والأنبياء.
- ✓ "3" مرات في سور: التوبة، ومريم، والحج، والصَّافات.
- ✓ "2" مرتين في سور: يوسف، والنحل، والعنكبوت، والممتحنة.
- ✓ "1" مرة واحدة في سور: إبراهيم، والحجر، والشعراء، والأحزاب، وص، والشورى، والزخرف، والذاريات، والنجم، والحديد، والأعلى.

وهي تعني أن سيدنا إبراهيم υ مبثوث ذكره بين طيات القرآن، سواء في طوال المفصل أو متوسطه أو قصاره، فأينما حللتَ ضيفاً على القرآن في أي جزء منه، فستجد باقات من النور الرباني تقدم لك نموذجاً فذاً لرجل استحق أن يكون خليل الله وأن يكون له حضور في حياتنا الثقافية والروحية والأخلاقية الفردية والجماعية.

ويمكن تقسيم آيات القرآن عن سيدنا إبراهيم υ إلى النقاط التالية:

أولا: ارتباط اسم الأُمة كلها بسيدنا إبراهيم υ، لقوله تعالى : { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ } [الحج : 78]، وهذا يعني أن في أعناقنا دينا متجددا لسيدنا إبراهيم إذ اختار لنا هذا الاسم "المسلمين" ليكون مصدر عزتنا ومجدنا بين الخلق أجمعين.

ثانيا: وجوب الاتباع لملة سيدنا إبراهيم υ بعد صدق الإيمان به، لقوله تعالى: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ }[البقرة : 130] ، وقوله تعالى: { قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ

مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة : 136]، ونقول هنا إن هذا المعنى تردَّد كثيرا في سور "آل عمران والنساء والأنعام ويوسف والنحل وص" بما يؤكد ضرورة الإيمان برسالته وصحفه وملته.

ثالثا: سيدنا إبراهيم υ أبو الأنبياء، لقوله تعالى: { وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ } [يوسف : 38]، فهو بحق الأب لنبينا محمد ρ من جهة سيدنا إسماعيل كما أنه الأب لسلسلة أنبياء بني إسرائيل ومنهم: الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فهو جد لخيار الأنبياء والرسل.

رابعا: ترتبط شعيرة الحج بسيدنا إبراهيم υ، ويبدو هذا الارتباط في القرآن الكريم في جوانب عديدة، أهمها:

١. أنه رفع القواعد من البيت مع ولده إسماعيل υ، لقوله تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة : 127].

٢. أنهما قاما بتطهير البيت للطائفين والعاكفين، لقوله تعالى: { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة : 125] .

٣. أنه الوحيد الذي أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج، لقوله تعالى: { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج : 27].

٤. أنه دعا لمكة بالأمن أولا ثم بالبركة في الرزق ثانيا، لقوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [البقرة : 126]، ومن حكمته البالغة أن دعا لمكة بالأمن قبل الرغد في العيش؛ إذ لا تُغني سعة العيش شيئا إذا حلَّ الخوف والهلع والفزع وانعدم الأمن.

٥. أن الله تعالى أمرنا أن نتخذ مقامه مصلى تكريما وتشريفا وتذكيرا بفضله، لقوله تعالى: { وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة : 125] .

خامسا: نفى الله تعالى أولوية غير المسلمين بسيدنا إبراهيم υ، حيث ادعته كل المِلل لنفسها من يهودية ونصرانية؛ وذلك لمكانة سيدنا إبراهيم υ في عالم الرسالات

والنبوات، فتعددت الآيات تنفي عنه الانتماء لأية ملة سوى الإسلام، ومن ذلك قوله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 67 -68] ، وقوله تعالى: { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[الأنعام: 161] .

وتأتي بقية الآيات تبين جوانب التوازن السبعة في حياة سيدنا إبراهيم υ سواء في علاقته السامية بالله سبحانه وتعالى؛ أم مع أبيه وزوجتيه وأولاده ومجتمعه والسلطة السياسية وإصلاح مستقبل العالم كله، وهو ما يحتاج منا إلى عمق في البحث نتناوله في فصل خاص، فنؤجله لما سيأتي بإذن الله لنفي التكرار.

الجانب الثاني: سيدنا إبراهيم υ في السنة النبوية:

إذا كان لسيدنا إبراهيم υ هذا الحضور المتميز في القرآن الكريم ففي السنة النبوية أيضا يتمثل فيها سيدنا إبراهيم υ نموذجاً حاضراً متميزاً في جوانب شتى، أهمها ما يلي:

أولا: سيدنا محمد ρ أشبه شيء بجده سيدنا إبراهيم υ:

وذلك لما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ : «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ υ بِهِ » (صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى، 87/7)، ولعل النبي ρ كان أشبه به خَلقا وخُلقا، كيف وهو من نسله المبارك، وعلى ملته ونهجه القويم، يؤكد هذا ما رواه مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع أن النبي ρ قال : «إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ρ وتسليم الحجر إليه...، 31/15)، ولما أورده الألباني من حديث عبادة بن الصامت أن الرسول ρ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم ، و كان آخر من بشر بي عيسى بن مريم » (صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 1463، والحديث صحيح). ويزيد

هذا تأكيدا أن سيدنا محمد ρ يشبه أباه خليل الله إبراهيم υ أن الله تعالى اتخذه أيضا خليلاً، لما رواه مسلم بسنده عن جندب بن جنادة τ قال : سمعت النبي ρ يقول : «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً » (صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي عن بناء المساجد على القبور...، 12/5).

ثانيا: سيدنا إبراهيم υ وزوجته سارة والملك الظالم:

من الابتلاءات الحادة التي فصَّلتها السُنة وأجملها القرآن الكريم ما تعرض له سيدنا إبراهيم υ مع الملك الظالم في زمانه وتعامل معه تعاملا يَتسمُ بأمرين: تمام الإيمان بالله تعالى، وكمال الحكمة في التعامل مع هذا الملك الظالم، ويُبيِّن ذلك الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة τ قال : قَالَ النَّبِيّ ρ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام بِسَارَةَ فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنْ الْمُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟، قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لا تُكَذِّبِي حَدِيثِي فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَامَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلا عَلَى زَوْجِي فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ، فقالت: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ » فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ : «وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلا شَيْطَانًا ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَعْطُوهَا هَاجَرَ فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ υ فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الْكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً » (صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي، 159/5)، وفي هذه القصة ما يدل على أهمية الإيمان والحكمة في التعامل مع هذه الأحداث الخطيرة حيث يُبتلى سيدنا إبراهيم υ بأن حاشية الملك قد رفعوا إليه أن رجلا وافدا على البلد عنده امرأة من أجمل النساء، فأراد أن يأخذها منه ظلما وعدوانا، فاختار سيدنا إبراهيم υ هذه الحيلة الشرعية، وتعاملت سارة مع الموقف بحسن التوكل على الله تعالى ودعت ربها بإخبات وتضرع: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلا عَلَى زَوْجِي فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ » فاستجاب الله دعاءها في الأولى فأغشي عليه، فلما خشيت أن تقتل به دعت الله عز وجل أن يعافيه

حتى لا تقتل به من حاشيته، لكنه لمَّا أفاق أراد أن يعاود محاولة الاعتداء عليها، فكررت الدعاء وتكرر الإغشاء حتى ظن أنها شيطان؛ فردها إلى زوجها إبراهيم υ مع أجرٍ وغنيمةٍ كانت أكبر الغنائم هي الوليدة والجارية هاجر أم سيدنا إسماعيل υ، وهكذا تحولت المحنة إلى منحة بالتعفف والتضرع والحكمة والصبر الجميل.

ثالثا: سيدنا إبراهيم υ وأسرته وبيت الله الحرام:

هناك عدد من الأحاديث فيه ا بيان مفيد وتفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم عن علاقة سيدنا إبراهيم υ وأسرته بالمسجد الحرام، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١. روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ρ قال : " أول ما اتخذ النساء المِنْطَقَ (كل ما شددت به وسطك) من قِبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم υ بابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم υ منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم υ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ }[إبراهيم: 37]، حتى بلغ {يَشْكُرُونَ }، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال : يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم ترَ أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي ρ: فذلك سعي الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة

سمعت صوتا فقالت : صه ، تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبي ρ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرا عائفا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال : وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ، فقالت : نعم ولكن لا حقَّ لكم في الماء ، قالوا : نعم ، قال : ابن عباس قال : النبي ρ فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحد ؟، قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنَّا في جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غيِّر عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك ، فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم υ ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم

وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال : النبي ρ ولم يكن لهم يومئذ حَبْ ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟، قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته إنَّا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟، قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبِّت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ، قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل υ يأتي بالحجارة وإبراهيم υ يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[البقرة : 127]، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[البقرة : 127]، (صحيح البخاري ، رقم الحديث **2217**)، وفي الحق هذا حديث جامع فيه من العبر ما يلي:

- أن السيدة هاجر كانت أول من اتخذت المنطق (حزام على البطن تنتطق به المرأة) لكي لا تثير غيرة سارة لما حملت بإسماعيل.
- أنها رضيت أن تُنقل إلى بلدة أخرى؛ لما اشتدت غيرة سارة نزولاً على أمر ربها، وراحةً لزوجها ونفسها.
- لما تساءلت كزوجة كيف يتركها في مكان لا إنس فيه ولا زرع ولا ضرع لم يجبها، فأعادت السؤال بطريقة أخرى: "آلله امرك بهذا؟"،

فلما قال: "نعم"، قابلت هذا الأمر الرباني باليقين الكامل: "إذاً لن يضيعنا".

- لما نفد التمر والماء خرجت تسعى بهمة بين الصفا والمروة ضاربة المثل الأعلى للأمة كلها من بعدها أن التوكل لا يعني ترك الأسباب بل الأخذ بأحسن الأسباب مع تفويض كامل لرب الأرباب.
- أن هذا التوكل (أخذ بالأسباب وتفويض لله تعالى) كمعْلم تربوي تُوَّج بالعناية الربانية في الرزق الوفير بتفجُّر ماء زمزم تحت رجل ولدها إسماعيل.
- لم يكن الماء غذاءً ضروريا لهاجر وابنها إسماعيل فقط إنما جلب الأُنس بالإنس حيث جاء الطير يشرب، فاهتدت قبيلة جُرهم – وكانت تبحث عن الماء – إلى موضع الماء فجاؤوا يعيشون معهم، وترعرع إسماعيل υ مع هذه القبيلة حتى تزوج منهم.
- أن سيدنا إبراهيم υ كان يتعهد ويتفقد أسرته بين الحين والآخر.
- أن سيدنا إبراهيم υ كان يستشير ولده دائما، فعندما أمره ربه برفع القواعد من البيت لم يعرض الأمر كتكليف بل عرضه كحوار هل تعينني على هذا؟ قال: أعينك، ثم رفعا القواعد معا، فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويهتفان معا بالدعاء: { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة : 127] ، فلما أتمَّا البناء طافا حول البيت يرددان هذا الدعاء.
- أن سيدنا إبراهيم υ في زياراته المتكررة وجد الشكوى من إحدى زوجات إسماعيل ولم تكن تعرف أنه أبوه فأمر إسماعيل بطلاقها، فلما زاره مرة أخرى ووجد الرضا والقناعة في زوجته الثانية، أمره بتثبيتها وإكرامها، وكانت النتيجة هي طاعة كاملة من الابن لأبيه، وهكذا تقوم العلاقة بين الأب وابنه تعهداً وتفقداً ورعايةً ونصحاً من الأب ومطاوعةً وبراً من الابن.

رابعا: سيدنا إبراهيم υ وتحريم مكة والدعاء لها البركة:

دعا سيدنا إبراهيم υ لتحريم مكة وزيادة بالبركة، لما رواه مسلم بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ : «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ» (صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي لها بالبركة، 113/9).

وروى مسلم أيضا بسند ه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ρ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ قَالَ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ، بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ» (صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي لها بالبركة، 122/9).

من رحمات الله تعالى على مكة المكرمة أم القرى ومهد رسالة الإسلام أن تهيأت لهذه الرسالة العظيمة بدعاء سيدنا إبراهيم υ ربه أن تكون بلداً حراما بما يعني أنها منطقة لا يجوز القتال فيها، ويأمن فيها كل من أوى إليها من إنسان أو حيوان أو طير بل حتى الشجر، ولم يكتف سيدنا إبراهيم υ بذلك بل أضاف إليها نداءً نديا بالسعة في الرزق وبركة في العطاء، فصارت أرض أمنٍ وبركة وسعة وثراء إلى يوم القيامة، رغم أنها لم تكن بلده الأصلي، حيث وُلد في العراق، لكنه جاء إليها، وأودع زوجته وولده بها، ورفع قواعد البيت، فظلَّت معالمه شاهدة إلى اليوم، وباقية إلى يوم القيامة بإذن الله.

خامسا: قصور بناء الكعبة عن قواعد إبراهيم:

روى مسلم بسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ، حِينَ بَنَوُا الْكَعْبَةَ، اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ؟» قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ » (صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، 75/9).

بنى سيدنا إبراهيم الكعبة، وكان فيها حِجر إسماعيل لكن أهل قريش لما أعادوا بناء الكعبة لم تكن لديهم كفاية من المال والمؤن فاقتصروا على جزء منها، ولما فتح النبي ρ مكة تمنى لو أعاد بناء الكعبة على قواعد إبراهيم υ وأن يدخل حِجر إسماعيل فيها، لكنه

راعى حداثة إسلام أهل مكة ومن حولها ، بما يؤسس لفقه الأولويات وتأجيل بعض الواجبات لمراعاة ما هو أوجب منه، ومات النبي ρ ولم يغيِّر ما فعله قومه، ولما بويع لعبدالله بن الزبير في منطقة الحجاز أيام بني أمية هدم الكعبة ، وبناها على قواعد إبراهيم υ وعلى ما كان يتمناه ρ، فلما تغلب عليه الحجاج وقتله استشار الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، فقال: " دعونا من تلطيخ ابن الزبير، نعود بالكعبة إلى ما تركها عليه النبي ρ"، فلما تغلب بنو العباس على بنو أمية أراد جعفر المنصور أن يهدم ما فعله بنو أمية، وأن يعود بالكعبة لقواعد سيدنا إبراهيم υ بإدخال الحِجر فيها؛ تحقيقا لرغبة الرسول ρ، واستعادة لما فعله ابن الزبير، فألهمه الله استشارة إمام دار الهجرة مالك بن أنس، فقال قولته التاريخية: "أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك ، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس" (البداية والنهاية / ج 2، ص33-239)، ومنذ ذلك التاريخ عُصمت الكعبة - بفضل الله ومنته - ثم بهذه الكلمة التاريخية للإمام مالك من أن تغيرها الأهواء والخلافات السياسية.

سادسا: ارتباط مناسك الحج بسيدنا إبراهيم υ:

إذا كانت شعيرة الحج هي أكبر فريضة يحتشد لها المسلمون كل عام فإنها ترتبط بسيدنا إبراهيم υ وأسرته ارتباطا وثيقا ، وإذا كنا قد أوردنا بعضا من صور هذا الارتباط الوثيق في القرآن الكريم، ففي السُنة الشريفة ما يؤكده ويزيد عليه، ومن ذلك ما يلي:

أ. روى النسائي بسنده عن يَزِيدَ بْنَ شَيْبَانَ τ قَالَ : كُنَّا وُقُوفا بِعَرَفَةَ مَكَاناً بَعِيدا مِنَ الْمَوْقِفِ فَأَتَانَا ابْنُ مِرْبَعٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ρ إِلَيْكُمْ يَقُولُ : «كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ » (سنن النسائي الصغرى ، كتاب مناسك الحج، باب رفع اليدين بالدعاء بعرفة، 282/5، حسن صحيح، وأورده الألباني في صحيح النسائي، رقم: 3014).

ب. سُنة الهدي والأضاحي هي تخليد لهذا المثل الرائع من انقياد الأسرة كاملة لأمر الله تعالى مهما كان صعبا، ففدى الله إسماعيل υ بذِبحٍ عظيم وأدخل السرور على إبراهيم υ وهاجر، وتتابع هذا السرور ليملأ قلوب المسلمين الذين يُقدمون الهدي

والأضاحي فيوسعون على أنفسهم وأولادهم وأصدقائهم وأقاربهم وفقرائهم، فصارت سُنة الأضحية مضاعفة للبر والسرور والأجر.

هذا الأجر قد يتضاعف إذا وقفنا أمام هذه القصة العجيبة عن "الحاج سلطان" شيخ قبيلة في دولة "بِنين" غرب أفريقيا حيث حدثت مجاعة كبيرة للبلد كلها، وذهب ممثلون من إحدى هيئات الإغاثة الإسلامية يُطعمون المسلمين المنكوبين من لحوم الأضاحي والهدي التي يقدمها المسلمون ، فجاء "سلطان" شيخ القبيلة المجاورة للمسلمين ، وهو آنئذ وثني يعبد هو وقبيلته الأصنام ، وطلب بعضًا من الطعام لقبيلته ، فقال أحد الموظفين - بلا علم- : "لا حق لكم في صدقات المسلمين ما دمتم غير مسلمين لأنها لحوم الأضاحي والهدي" ، فقال الموظف الآخر - وكان ذا علم ووعي - : "لا، بل يجب أن نطعمهم ، حيث يوجد عموم في آيات وأحاديث تفيد عموم الإطعام لكل الفقراء أياً كانوا ومهما كانوا ، وقرأ عليه بعض هذه الآيات" ، فأعطوهم طعامًا ولحومًا ، ونقل الرج ل الحوار لقبيلته بعد أن أكلوا وأسلم شيخ القبيلة أمامهم فأسلمت معه القبيلة كلها ، وكان عددهم 400 والحمد لله، وجاء ليحج بيت الله الحرام وهناك التقينا.

ألا ترون إخواني وأخواتي أن لسيدنا إبراهيم وإسماعيل عليها السلام أجراً في القرن الحادي والعشرين الذي أسلم فيه هؤلاء الوثنيون بسبب سُنة الأضحية التي بدأت تتويجاً لتمام وكمال طاعة سيدنا إبراهيم وإسماعيل لله تعالى؟!.

سابعا: ارتباط شعيرة الصلاة بسيدنا إبراهيم υ:

إذا كان الحج أكبر فريضة يتجمع لها المسلمون كل عام، فإن الصلاة أهم فريضة يكررها المسلمون كل يوم، وقد ارتبطت الصلاة بسيدنا إبراهيم υ في جوانب عديدة منها ما يلي:

(أ) أن التوجه إلى القبلة شرط من شروط صحة الصلاة وهي تجعل قلوب المصلين في كل زمان ومكان يتعلقون بسيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأنهما رفعا القواعد من البيت وطهراه وهيآه للطائفين والعاكفين والركع السجود.

(ب) كان من هدي النبي ρ كلما ذهب إلى البيت الحرام أن يذهب خلف مقام سيدنا إبراهيم υ ويقرأ الآية : {وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى }[البقرة : 125]، ثم يركع ركعتين ويقرأ في الأولي: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } [الكافرون]، وفي الثانية : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص].

(ج) كان الرسول ρ يتأسى في وضوئه بسيدنا إبراهيم υ، ونحن نتأسى بهما معا، لما رواه ابن ماجه بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ : تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ : «هذَا وُضُوءُ مَنْ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلاَةً إِلاَّ بِهِ » ثُمَّ تَوَضَّأَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ، فَقَالَ : «هذَا وُضُوءُ الْقَدْرِ مِنَ الْوُضُوءِ »، وَتَوَضَّأَ ثَلاَثاً ثَلاَثاً، وَقَالَ : «هذَا أَسْبَغُ الْوُضُوءِ، وَهُوَ وُضُوئِي وَوُضُوءُ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » (سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين وثلاثا، 145/1، والحديث ضعيف ، راجع: ضعيف ابن ماجة للألباني رقم 85).

(د) صار من الفرائض الثابتة الصلاة على رسول الله ρ كما صلى وبارك على سيدنا إبرهيم υ والتي عرفت بالصلاة الإبراهيمية ، قال النووي رحمه الله: "اعلم أن الصلاة على النبي ρ واجبة عند الشافعي رحمه الله بعد التشهد الأخير، لو تركها لم تصح صلاته" (الأذكار للنووي، ص135) .

ثامنا: خصوصيات فريدة لسيدنا إبراهيم υ في السنة النبوية:

باستقراء أكثر الأحاديث النبوية عن سيدنا إبراهيم υ نتبيَّن أنه انفرد بمعالم وخصائص رائدة، منها ما يلي:

١. ما رواه مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ρ فَقَالَ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ » (صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل، 103/15).

٢. ما رواه البخاري بسنده عنِ ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال : «خَطَبَ رسولُ الله ρ فقال : يا أيها الناس، إنكم محشورونَ إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلاً، ثم قال : {كَمَا بَدَأْنَا

أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : 104] ، ثم قال : ألا وإنَّ أولَ الخلائِق يُكسى يومَ القيامة إبراهيمُ، ألا وإنهُ يُجاءُ برجالٍ من أمتي فيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ، فأقولُ : يا ربِّ أُصَيحابي، فيقال : إنكَ لا تَدرِي ما أحدَثوا بعدَك، فأقولُ كما قال العبدُ الصالح: { وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة : 117]، فيقال : إنَّ هؤلاء لم يَزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم » (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وربكم وكنت عليهم شهيدا، 170/9).

٣. ما رواه البخاري بسنده عن سمرة بن جندب τ أن الرسول ρ ذكر فيما رآه ليلة عرج به في السماء: «وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضة فإنه إبراهيم υ، وأما الولدانُ الذين حَولهُ فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفِطرة، قال : فقال بعضُ المسلمين : يارسولَ الله وأولادُ المشركين؟ فقال رسول الله ρ: وأولاد المشركين » (صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، 479/14).

٤. ما رواه ابن ماجه بسنده عَنْ سَائِبَةَ مَوْلاَةِ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَرَأَتْ فِي بَيْتِهَا رُمْحاً مَوْضُوعاً، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ مَا تَصْنَعِينَ بِهذَا؟ قَالَتْ : نَقْتُلُ بِهِ هذه الأَوْزَاغَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبَرَنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ تَكُنْ فِي الأَرْضِ دَابَّةٌ إِلاَّ أَطْفَأَتِ النَّارَ غَيْرَ الْوَزَغِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِقَتْلِهِ » (سنن ابن ماجه، كتاب الصيد، باب قتل الوزغ، 1076/2، إسناده صحيح).

٥. ما رواه الإمام مالك بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ قَالَ : «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَتَنَ، وَأَوَّلَ النَاسِ قَصَّ الشَّارِبَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ رَأَى الشَّيْبَ، فَقَالَ : يَا رَبِّ مَا هذا؟ فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى : وَقَارٌ يَا إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ : يا رَبِّ زِدْنِي وَقَاراً» (موطأ مالك، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في السنة في الفطر، 285/4).

وهذا الحديث وإن كان مرسلا إلا إنه من مراسيل سعيد بن المسيب وكان من شأنه وشأن المحدثين في هذه المرحلة إذا رووا الحديث عن واحد فقط من الصحابة أسندوه إليه، وإن روي الحديث عن جمع أرسلوه إرسالا، ولذا تعد مراسيل الحسن البصري

وسعيد بن المسيب أقوى من المسند في زمانه، ثم إن متن الحديث مما لا دخل للاجتهاد والعقول فيه، مما يدل أن متنه من قول النبي ρ وليس اجتهادا من ابن المسيب.

هذه الأحاديث السابقة تضيف إلى منزلة سيدنا إبراهيم υ مكارم أخرى ودرجات علا ومنازل أسمى، فهو الملقب بخير البرية، وأول من يكسى يوم القيامة، والوحيد الذي رأى النبي ρ الولدان الذين يموتون صغارا حوله، وتكاثرت الدواب لإطفاء النار حتى لا يؤذى إلا الوزغ ولذا شدَّدَ النبي ρ على ضرورة قتله أنَّى وُجد، بالإضافة إلى أنه أول من ضيَّف الضيف، وأول من اختتن، وأول من قص الشارب، وأول من رأى الشيْب وفرح به.

هذه المكارم الفريدة في السُنة الشريفة إذا أضيفت إلى المقامات السامية التي ذكرتها آيات القرآن، أنه خليل الله وأنه كما قال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [النجم : 37] ، وأنه كما قال أيضا: {لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ } [هود : 75]، و.....، تجعلنا بحق أمام نبي رسول متفرد بخصائص لا يشاركه فيها غيره من الأنبياء والرسل، مما يبرر دعاءنا الدائم مرات عديدة كل يوم أن يصلي ربنا ويبارك على سيدنا محمد وآله الأطهار كما صلى وبارك على سيدنا إبراهيم وآله الأبرار.

المطلب الثاني : **سيدنا إبراهيم υ واكتمال جوانب الالتزام السبعة**

إذا كانت النصوص الشرعية من قرآن وسنة ناطقة بسُمو مكانة سيدنا إبراهيم υ عند الله تعالى ثم عند المؤمنين في كل زمان، فإنني أعتقد بيقين أن أبرز جوانب النبوغ في سيدنا إبراهيم υ إضافة لما سبق عرضه في القرآن والسُنة هو اكتمال وتوازن دوائر وجوانب الالتزام السبعة لديه، وكانت هذه هي خلاصة المعايشة مع القرآن والسُنة بالعقل تدبراً، وبالقلب تأثراً، وبالنفس تغيراً، أما عن هذه الجوانب السبعة فهي كما يلي:

الجانب الأول : سمو علاقته بالله عز وجل.

الجانب الثاني : البر بالأب حتى لو كان الأب كافراً .

الجانب الثالث : حُسن العشرة مع زوجتيه.

الجانب الرابع : حُسن تربيته أولاده.

الجانب الخامس : إكرام ونصح قومه ومجتمعه.

الجانب السادس: الإيجابية مع السلطة السياسية.

الجانب السابع: التخطيط لإصلاح المستقبل.

هذه هي الجوانب السبعة مجملة، أما عن تفصيلها ففيما يلي:

<u>الجانب الأول : سمو علاقته بالله عز وجل:</u>

إن عبارات القرآن وألفاظ السُنة النبوية تؤكد بيقين أن الله تبارك وتعالى يحب عبده ونبيه ورسوله وخليله إبراهيم حبا فياضا، حيث يقول تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [النحل: 120 - 121]، ووصفه في سورة هود بأنه: {لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ } [هود : 75]، وكان: {صِدِّيقًا نَبِيًّا } [مريم: 41]، وأوتي رشده كاملا كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ

وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } [الأنبياء: 51]، ووصفه بأنه: {وَفَّى } [النجم : 37]، أما سورة الصافات فترسل سلاماً دائماً متواصلاً على إبراهيم υ: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } [الصافات: 109]. أما في سورة البقرة فهي أكثر سور القرآن ذكراً لسيدنا إبراهيم υ، فقد قال سبحانه : {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [البقرة : 124] ، منها محاولة الملك الاعتداء على زوجته، وتأخر الرزق بالولد عمراً مديداً، ولما رزق به أُمر أن يبعد ه عنه إلى أرض لا زرع فيه ولا ضرع، ثم أمر بذبحه، وابتُلي بأبيه صانع الأصنام، وابتلي في مجتمعه برفض رسالته ومحاولة إحراقه، إلى غير ذلك من الابتلاءات التي يصدق فيها، قول ابن عباس: (لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ، ابتلاه الله بكلمات، فأتمهن ، قال: فكتب الله له البراءة فقال: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [سورة النجم: 37]، قال: عشر منها في " الأحزاب " ، وعشر منها في" براءة " ، وعشر منها في" المؤمنون " و " سأل سائل "، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهما") (تفسير الطبري، 563/2).

أما لماذا ابتلاه الله كل هذا البلاء؟ فيفسره الحديث الذي أورده الترمذي من حديث سَعْدٍ بن أبي وقاصτ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ ρ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، حَتَّى يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلى قَدَرِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ صَلْبَ الدينِ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلى حَسَبِ ذلِكَ، أَوْ قَدَرِ ذلِكَ، فَمَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَدَعَهُ يمشِي فِي الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (سنن الترمذي ،رقم: 2398، وقال:حسن صحيح، وأورده الألباني في صحيح الترغيب -،رقم: 3402، وقال حديث صحيح).

لقد كان سيدنا إبراهيم υ في البلاء رمزا وقدوة في الرضى عن الله والشكر له، والحق أنه إذا ابتلانا الله فرضينا عنه فسنكون أهلاً لرضى الله، إذ كيف نطلب رضى من لا نرضى عنه ؟ ! ليست العلاقة مع الله اتجاهاً واحداً بل مزدوجة، كما قال تعالى: { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } [المائدة : 119] ، وقوله سبحانه: { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة : 54]، إذا أردنا أن نتذوق طرفا من هذا الحديث الرائع من رب العزة عن خليله إبراهيم υ فسنجد أن ربنا سبحانه يقدم إبراهيم υ في أهل التمام والوفاء الكامل، كما قال ابن عطاء الله السكندري:" إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقا م ك"، كما قال تعالى: { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [النجم : 37] ، وقوله تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } [النحل :

120]، والسؤال هنا لماذا كان أُمَّة ؟ ويأتي الجواب في الآية نفسها، لأنه كان: { قَانِتًا لِلَّهِ } [النحل : 37]، أي: قنوتٌ في الليل، ودعاءٌ في السحر، وبكاءٌ في الصلاة ، وخشوعٌ ورجاء ، ويضاف إلى هذا امتثاله للملك سبحانه : "اذبح ولدك ، فكان لسان حاله أن قال: أ نت يا رباه أحب إل يَّ من فلذة كبدي ؛ فلأذبح ن ولدي "، وشرع في التنفيذ العملي كما قص القرآن الكريم: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }[الصافات : 105 - 120] ، والسؤال هنا: ألم يُسلم من قبل؟ والجواب: بلى ، ولكن هذا تأكيد للالتزام وتجديد للإسلام وبيان عملي على حقيقة الإيمان عندما يشتد الابتلاء على الإنسان ، هنا يبدو بشكل واضح هل نحن تراب تذروه الرياح ؟! أم حديد يصدأ في الماء ؟! أم أننا ذهب و ألماس يزيده الماء نقاء وتزيده النيران صفاء ؟! هكذا المؤمن وهكذا كان سيدنا إبراهيم υ ، فلنتعلم كيف نواجه البلاء ، كيف نتعود الرضا عن الله ، والرضا معناه الشكر عند النعمة الأولى ، واستمرار الشكر مع استمرار العطاء ، شكر قولي وشكر عملي، أما إذا حُمَّ البلاء فالصبر عند الصدمة الأولى، واستمرار الصبر مع طول البلاء.

ما أحلمك رباه على عبادك تـرزقهم بالليل والنهار ويشكرون غيرك، كما قال سبحانه: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ : 13]، وكما جاء في الحديث القدسي حيث قال النبي ρ فيما يرويه عن ربه : «إن ي والإنس والجن لفي نبأ عظيم أخلق ويعبد غير ي، أرزق ويشكر سوا ي، خيري إلى العباد نازل وشرهم إل ي صاعد ، أتحبب إليهم بالنِعم و أنا الغن ي عنهم ، ويبتعدون عني بالمعاصي وهم أحوج شيء إليَّ، أهل ذكري أهل محبتي، أهل محبتي أهل سيادتي، أهل معصيتي لا أقنِّطهم من رحمتي، فإن تابوا إليَّ فأنا طبيبهم، وأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين » (أورده الألباني في السلسلة الضعيفة من حديث أبي الدرداء، ص2371).

ولا زلت أتعجب من كثرة الاستمتاع بنِعم الله مع الكفر به وجحود فضله، وقد كنت قادما من أمريكا ، وفي الطائرة إلى لندن كان عن يساري شيوعي ملحد من ف رلندا ، وعن يميني كاثوليكي من بريطانيا، يقول الملحد كأنه يتنفس الهواء : "لا وجود لشيء اسمه الله "،

ويقول الكاثوليكي : "إن الله متعدد "، فجلست أحاور الاثنين معاً : يا قوم إنه الله الواحد الأحد ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟ ! {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } [الصافات : 154]، كيف تكفرون وقد خلق الله وحده لنا السموات والأرضين ؟ ! {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة : 28].

ونحن الآن في عالم يمتلئ بالشيوعية والعلمانية وكلاهما ضلال، منهج الشيوعية: "لا إله والحياة مادة " أي لا وجود لله ، ولا دور له في الحياة، و كانت هذ ه هي المادة الأولى في دستور الاتحاد السوفيتي الذي حالفناه وأطعناه زماناً طويلاً ، منذ النشأة في 1917/10/23م حتى انهار في 26 /1992/12م، وورثت روسيا هذه العقيدة حتى اليوم، هذه هي المنظومة الأولى.

أما المنظومة الثانية فمنهجها : "ألا له الخلق ولنا الأمر "، أي أن الله موجود ، ولكنه متعدد ، فهو الذي خلق ونحن الذين نحكم، نفعل ما نشاء ، نُحل الربا والزنا والظلم والطغيان، نُحل تجارة المحرم ات، وهؤلاء ملأوا الأرض ظلماً وفجوراً تحت عنوان الصليب، ثم يزعمون زورا أنهم أولى الناس بإبراهيم υ، والقرآن يكذبهم لأن إبراهيم υ الذي آمن بربه خالقا، أسلم له طائعا في كل شيء، فحقق الآية الكريمة: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ } [الأعراف: 54]، وهي المنظومة الأخيرة والصحيحة وحدها وغيرها فساد وكفر وضلال، وتبقى أمة الإسلام في اتباعها لنهج إبراهيم υ أولى الناس به، كما قال تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 68]، ويقول سبحانه: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران : 67]، لابد أن نواجه هؤلاء بالحوار إبرازاً لعقيدتنا الصحيحة: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ } [الأعراف: 54]، فمن أنتج سلعة فهو وحده صاحب الحق أن يضع الدليل لاستعمالها ، والذي خلق السماوات والأر اضين والإنس والجان هو وحده الذي يقر قانون التعا مل في هذه الأرض ، كما قال سبحانه: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[الملك: 14]. وقبل أن أختم سمو العلاقة مع سيدنا إبراهيم أحب أن أذكر هذا الموقف الذي يدل على رغبة سيدنا إبراهيم في أن يتضلع من بحار الإيمان وأن يتشرب بكل وجدانه عقيدة التوحيد، فلا يكتفي بمقام الإيمان بل يجتهد في طلب مقام الاطمئنان، في

يقينه الكامل بقدرة الرحمن على إحياء الموتى كما تصوره هذه الآية الرائعة: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة: 260].

هذا هو مقام سيدنا إبراهيم من ربه فأين نحن من الله سبحانه وتعالى؟!

الجانب الثاني : البر بالأب حتى لو كان كافراً:

في الإسلام تقدير واحترام بالغين للأبوين، فقد قرن الله برهُما بعبادته سبحانه فقال تعالى : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } [الإسراء : 23]، وقد ضرب سيدنا إبراهيم المثل الأعلى في حسن تعامله مع أبيه، و خاطبه بلغة رقيقة مع أنه كان يتخذ أصناما آلهة ويعبدها من دون الله، و لكن إبراهيم υ ترفق به غاية ما يكون الرفق، وألان له غاية ما يكون اللين، وخفض له جناح الذل من الرحمة أروع ما تكون الذلة من ابن لأبيه، كما جاء في سورة مريم قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً}[مريم : 42 - 45] .

ومع هذا الأدب الراقي كان رد الفعل من الأب عنيفاً ، وكان رد سيدنا إبراهيم υ لطيفا، كما قال سبحانه وتعالى: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً } [مريم : 46 - 48]، ولقد كافئ الله خليله إبراهيم على هذا الصبر الجميل والأدب الجزيل بأن رزقه بإسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وجعلهما عوضاً - في تمام البر به - عما لم يجده في أبيه : {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً } [مريم : 49 - 50].

وهذا يؤكد أن بر الوالدين من الأعمال التي يُعجل ثوابها في الدنيا قبل الآخرة ؛ فمن عَق عُق من أولاده ، ومن بر والديه برَّهُ أولاده ، هذا أمر مُشاهد لكن للأسف الشديد هناك

بعض ضيقي العقول الذين يواجهون الآباء لأتفه الأسباب أو لأعظمها بأسلوب لا يليق، ويخلطون بين الدعوة أو الولاء والبراء والبر بأصحاب الحقوق.

وعلى سبيل المثال ذهبت لأخطب الجمعة في إحدى الولايات الأمريكية حول "الولاء والبراء بين الـتأصيل الشرعي والتطبيق على المجتمع الأمريكي "، فجاءني شاب أمريكي أسلم منذ شهور وقال : " لقد تعلمت في هذا المسجد غير الذي ذكرته في خُطبتك، علَّمني الإخوة هنا بعد أن أسلمت أن من البراء أن أتبرأ من أبي وأمي فلا أعاملهما أبداً ، وقد كنت أبرَّ إخوتي بهم قبل الإسلام ، فترك تهُم وهو يبكون ويُلِحون في الاتصالات ويرسلون الأصدقاء وأنا أرفض قائلا: أنا قد أسلمت فلا علاقة لي بكم "، قلت : "لقد أخطأت مرتين مرة بحق الإسلام العظيم السمح الذي يؤدي الحقوق إلى أهلها ولو كانوا كفاراً، ثم أخطأت في حق الوالدين فاستغفر الله ثم عُد لأبويك بهدية وقل لهما :إن ني كنت أفهم الإسلام خطأ ".

وامتثلَ الأخ و أخذ هدية وذهب إليهم معتذراً، ثم ذهبتُ إلى الولاية نفسها في برنامج آخر ، فوجدت هذا الشاب ينتظرني في المطار مع أم ه، التي جاءت تشكرني أن رددتُ ابنه ا إليها بعد أن عقَّها وهجرها، وأضافت: "و الأجمل أن ك رددتني إلى الإسلام بعد أن سببتُه ، وكنت أسب الإسلام الذي حرمني من ابني ، والآن أنا مسلمة بعد أن فهمت حقيقة الإسلام وليس الأوهام التي تُدرس من غير أدلة "، هذا هو الإسلام ، فقال هذا الشاب الأمريكي : "الحمد لله أسلمت أمي وأبي في طريقه إلى الإسلام" .

وأقول بحق نحن نحتاج أن ندعو آباءنا؛ ومن الدعوة أن نفتح معهم كل الأبواب، فنتبرأ من الكفر ونؤدي الحق الذي علينا لهم في حسن الصحبة وطيب الكلمة.

والدعوة العملية خير من الدعوة القولية ، فاجعلوا بر الآباء فعلاً يقربهم إلى الله مهما كان بعدهم عنه.

أما الآباء الصالحون فهم أحق بتمام البر، وعظيم الحب، ووفرة الود، وحسن الرعاية، وجميل العناية، فهذا يمسح على قلوبهم، ويبهج نفوسهم، ويشرح صدورهم، ويستمطر دعواتهم لأبنائهم وأحفادهم؛ فيمتلئ المجتمع بهذا البر وذاك الفضل، فيشيع الخير في المجتمع كله.

الجانب الثالث : حسن العشرة مع زوجتيه.

في حياة سيدنا إبراهيم υ نموذج يقتدى في العلاقة مع زوجتيه في قمة العدل بينهما ومراعاة أعلى درجات الحكمة في التعامل مع المواقف التي تحدث بينهم، وعلاج رباني في استيعاب أية أزمة تطرأ على حياتهم، وكم نحن أحوج للاقتداء بسيدنا إبراهيم في هذا الجانب لسد فجوات بين المتدينين أزوجاً وزوجات رغم علمهم بما روى الترمذي بسنده عن عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : قالَ رسُولُ اللّهِ ρ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأهلي » (سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب فضل أزواج النبي ρ، 10، 299،وقال: حسن غريب صحيح)، والحق أن هذا معيار صادق قوي لأن الزوجة هي الوحيدة التي تراك في فقرك وغناك، في مرضك وصحتك، في تعبك وراحتك ، في ليلك ونهارك، في سفرك وإقامتك، في خلوتك وجولتك، والطبع يغلب التطبع .

لقد كان سيدنا إبراهيم υ أبرَّ الناس بزوجته الأولى فأحبته حباً كبيراً ، ولما جاءت محنة الملك الذي أراد أن يغتصبها، فتفاهما معا كيف يكون الخلاص بحسن التوكل على الله تعالى والدعاء له، فلما أخذها الملك عنوة، توضأت وصلَّت وقالت هذا الدعاء: " اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلا عَلَى زَوْجِي فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ " فأغشي على الملك مرارا حتى أطلقها مع الجارية هاجر، فوهبت سارة جاريتها هاجر لسيدنا إبراهيم ليتزوجها لتحقق له أمنيته في أن يكون له ولد - وقليل من النساء بل نادر من تفعل ذلك - فلما حملت هاجر وخشي سيدنا إبراهيم مع زوجته هاجر من غيرة سارة، لبست المِنْطَقَ لتواري الحمل مراعاة لفضلها ومشاعرها، فلما اشتدت غيرة سارة بعد ولادة إسماعيل υ، لم ينس إبراهيم υ فضل زوجته الأولى، والتمس لها العذر، وأخذ هاجر - بأمر من الله - إلى بيت الله الحرام ، وتركها حيث لا زرع ولا ضرع، وسألته : «يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يتلفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا » (رواه البخاري في الجامع الصحيح من رواية عبد الله ابن عباس، ص 3364).

لقد ابتلي سيدنا إبراهيم بتأخر الإنجاب فكان نِعم الصابر مع زوجتيه، لم تحدث أزمة ولم ينسَ حق أية زوجة ولم يهمل مشاعرها، بل كان في قمة الوفاء، وفي غاية الحنو على زوجتيه حتى رزق بإسماعيل، وابتلي بأن يبعده عنه مع شوقه الشديد أن يكون مع ولده الحبيب، فأطاع أمر ربه ولانت

زوجته لأمر الله، وابُتلي بذبحه فأقدم على تنفيذ أمر ربه لولا منحة الله، وأكمل الله له النعمة فحملت زوجته الأولى سارة جزاء صبره وحسن طاعته ووفائه واستمراره في تبلغ دعوته رغم ما لاقاه من قومه، ويصور ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود: 71-73). فكان بحق نموذجاً يقتدى عند العقم والإنجاب ليكون قدوة لكل الأزواج سواء رزقوا الأولاد أم لم يرزقوا.

إنها التربية الإبراهيمية ، التربية النبوية التي جعلت من البيت بستانا عامراً من الحب القلبي والتفاهم العقلي والتناغم الجسدي ، وقد قدمتُ إحصاءً وبيانات من استبانات وزعت على ثلاث آلاف أسرة مسلمة ، وكتبت كتابا عن الحياة الزوجية في الواقع المعاصر - مشكلات واقعية وحلول عملية - ، وكانت أهم النتائج أن أول ما يفقتد من البيوت هو الحب بين الزوجين، ف لنملأ بيوتنا حباً أسوة بسيدنا إبراهيم υ، فإن الزوجة السوية تحتاج إلى قلبك مهما أهديت لها من الهدايا الثمينة ، والزوج يحتاج إلى قلب زوجته، مهما قدمت له من أطايب الطعام والشراب، القلب هو مناط الحب ، ثم العقل وهو مناط التفاهم، فيأتي الجانب الجسدي سلساً بعد ذلك ، والحق أن أول من يجني ثمار هذا التوازن وملء الفراغ بين الزوجين في الحب والتفاهم والتناغم هما الزوجان أولا فيسعدان ويأنسان ويصبغا ذلك على أولادهم وأسرهم ومجتمعهم، ونحن أحوج ما نكون بحق إلى ملء هذا الفراغ حيث إن البديل المطروح فساد وفسوق وآلام وتفكك وعُهر وجرم وضيق وعذاب في الدنيا والآخرة معا.

<u>الجانب الرابع : حسن تربيته أولاده:</u>

لقد كان واضحا في عقل ووجدان سيدنا إبراهيم υ أولويات ومنهجية تربية الأولاد كما دعا ربه قائلا: { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }[إبراهيم : 37]، وفي هذا الدعاء تبدو أولويات التربية كما يلي:

أ. التربية الإيمانية من خلال الارتباط بالصلاة والمسجد.

ب. التربية الاجتماعية من خلال الارتباط بذوي الأفئدة السوية والقلوب الحية.

ت. التربية المادية من خلال الثمرات الوفيرة مع ربط الجانب المادي بالجانب الإيماني شكرا لله على نعمه.

وقد طبق سيدنا إبراهيم υ ذلك عمليا في جوانب عديدة منها ما يلي:

١. لم يكن يذهب للمسجد وحده أو ينفرد بالدعاء دون ابنه بل كان في صحبة معه في كل خير، كما قال سبحانه: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة : 127-128].

٢. اتباع منهجية الحوار مع ولده حتى لو كان الأمر مقطوعا به من الله تعالى، وذلك ليقنعه ويستصحبه نحو فعل الخير، ولقد ظهرت آثار هذه المنهجية الواضحة في التربية عقديا، وهذا الدأب في التطبيق عمليا، في صورة ناضرة عندما أُمر بذبح ولده في منامه، فلم يذهب في تنفيذ أمر ربه في ابنه عند نومه، بل أقبل على ابنه إسماعيل من وجهه، فحاوره حوار الرجال الأفذاذ مع الأبناء الكرام، فقال: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى }[الصافات : 102]، والسؤال هل بعد أمر الله للأب يصح أن يكون للابن رأي في أمر الله، والجواب أن هذا إرساء لمنهجية إقناع الأبناء بالحوار، لا بالأوامر الصارمة التي تُلقى على الأبناء كالصواقع، فيتخذون مواقف لا ترضي الله ولا الآباء. أما هذه الصورة المثالية فقد جاءت في هذا الرد الراقي من ولده إسماعيل υ: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }[الصافات : 102]، ومما يؤكد أن الحوار بين سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل كان ظاهرة متكررة وليست حالة واحدة، ومنهجية دائمة وليست واقعة فريدة، أن سيدنا إبراهيم فعل الشيء نفسه عندما أمره الله برفع القواعد من البيت، فجاء لولده إسماعيل كما سبق في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري والذي ذكرناه سابقا، حيث جاء متوددا لولده وقال: " يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني، قال : وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا "، فما كان من الابن إلا أن نهض بكل حب مساعدًا أباه، مشاركا

إياه في هذا العمل التاريخي الذي خلَّده الله في العالمين، فلو أحسن الآباء الحوار مع الأبناء لوجدوا خيراً كثيراً من أبنائهم أكثر مما يتوقعون.

٣. أن سيدنا إبراهيم استمر على منهج التوصية لأولاده جميعا كي تبقى نصائحه معمولا بها في حياته وبعد وفاته:

أ. أما الوصية في حياته فتبدو من قصة زيارته وتفقده ولده إسماعيل بعد زواجه الأول ولم يجده وسمع من امرأته شكاية شديدة وضيقا بالحياة، وعدم ذكر أية إيجابيات لحياتها مع زوجها، فأدرك الأب أن هذه الزوجة لا تصلح لابنه الذي تربى على المكارم فترك وصيته لابنه أن يغير عتبة داره، فطلقها إسماعيل على الفور، ولما زاره مرة أخرى بعد زواجه الثاني ووجد من امرأته قناعة ورضا وحمداً لله على نِعمه وثناءً على زوجها، ترك وصية لابنه أن يثبت عتبة بابه، ففعل سيدنا إسماعيل، والشاهد هنا أنه ترك وصيته في الحالتين السلبية والإيجابية، بالتطليق في الأولى والتثبيت في الثانية، مما يدل على أنها منهجية ثابتة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال الوصية، ومن الجدير بالذكر إنه إن كان ذلك حقاً مشروعاً للآباء أن يتدخلوا في حياة الأبناء بعد زواجهم، فذلك مشروط بأن يكون وفق ضوابط صحيحة ومعايير شرعية سليمة وليست مسألة مزاجية أو اتباعا لهوى وعرف خاطئ، والإصرار على التدخل في النقير والقطمير والقليل والكثير في حياة الأبناء.

ب. أما الوصية التي تركها لأولاده وأحفاده بعد وفاته فتبدو من قول الله تعالى :

{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }[البقرة : 132]، ويبدو من الآية أن هذا المنهج في الوصية بإفراد الله بالعبودية والتزام الإسلام في كل الجوانب الحياتية صارت أيضا منهجاً لأولاده من بعده حيث وصى إسحاق يعقوب، ووصى يعقوب أبناءه أجمعين ألا يموتوا إلا على الإسلام، وكان من آخر وأجمل دعاء سيدنا يوسف υ: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }[يوسف : 101]، فتلاحق خير سيدنا إبراهيم υ في بنيه ، وتتابعت منهجيته في أحفاده، وحفظها النبي ρ كمنهجية عن جده إبراهيم υ، ومن ذلك ما

رواه الترمذي بسنده عن العرباض بن سارية τ قال: وعظنا رسول الله ρ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟، قال : «أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي (أي ولي عليكم) فإنه من يعش منكم يرَ اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد » (سنن الترمذي ، رقم: 2676، وقال: حسن صحيح)، وما أبلغها من موعظة في الوفاق والشقاق، وفي العسر واليسر.

لقد غرس سيدنا إبراهيم υ في أولاده فأحسن الغرس، واستثمر الخير فيهم فأحسن الاستثمار، وأدركته العناية الربانية ف حصد الثمرة كأحسن ما يكون الحصاد، وأنفع ما تكون الثمار، فوجد هذه الطاعة الكاملة من ولده حتى لو أمره بذبحه أو تطليق زوجة وتثبيت أخرى، وطاعته في تحمل رفع القواعد من البيت في الأجواء الحارة الشديدة، وهكذا صار القدوة لكل أب إلى يوم الدين، وهكذا يجب أن نزرع في أولادنا الإيمان بالله أولاً، ثم العلاقات الاجتماعية السامية ثانياً، والسعي لتحقيق الوفرة المادية أخيرا، ونطبق ذلك عملياً بالحوار والمشاركة والتوصية لنجني ثمارا قريبة من تلكم الثمار، ونتشبه بهذه النماذج الراقية كما قال الشاعر:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

فإذا نزلنا من هذا النموذج الأسنى إلى واقعنا فسنجد انشغال الآباء في التجارة والتربح، وتوظفت الأم لتضاعف الدخل المادي، ونسوا أولادهم تزكية وتربية وتنقية كي يكونوا نماذج صالحة لمجتمعهم، ح تى إن ولداً سأل أمه : "لماذا لا أرى أبي؟ ! قالت : أبوك يعمل ليحصل على المال ليوفر لكم السيارة والبيت والكهرباء والفواتير ومصاريف التعليم . قال: كم يحصِّل أبي في الساعة ؟ قالت : 20 دولاراً . فـادخر الولد ما معه من دولارات وعدَّها فوجدها 10 دولارات ثم ذهب واقترض 10 دولارات أخرى ، ووضعها في مظر وف وقال لأبيه : أبي، أريدك أباً لمدة ساعة"، وهذه قصة واقعية وليست خيالية! .

يريد أولادنا آباء مربين لا ممولين ، وأمهات مربيات لا خادمات ، يا إخواننا أحسنوا تربية أولادكم ، واستثمروا أحسن الأوقات مع أبنائكم، عسى أن تجنوا ثمارا تقترب مما جنى

أبونا سيدنا إبراهيم υ، وإلا فنحن نيتم أطفالنا في الدنيا ونلقيهم في قعر جهنم في الآخرة، أما اليتم فلقول الشاعر:

ليس اليتيم من انتهى أبواه * من همّ الحياة وخلّفاه ذليلاً**

إن اليتيم هو الذي تلقى له * أمّا تخلّت أو أباً مشغولاً**

<u>الجانب الخامس : إكرام ونصح قومه ومجتمعه:</u>

بدأ بالعطاء والكرم والسخاء مع الدعوة والبيان، حيث كان مضيافا كريما ، بل أورد الإمام مالك الحديث - كما سبق بيانه - : (كَانَ إبْرَاهِيمُ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ)، وهذا نموذج من إكرامه للضيوف عندما جاءته الملائكة في شكل بشر، فقد م أروع صور الإكرام للضيف، كما يلي:-

- قدَّم تحية أحسن من تحيتهم، حيث قالوا: {سَلاَماً } [هود : 69]، أي الآن، لأنه ا جملة فعلية تـوتبط بزمن محدد ، فقال : {سلامٌ } أي في كل وقت وحين، مثل الفرق بين محمد أعطى، ومحمد معطاء، فكانت أبلغ وأروع.
- دخل في هدوء دون ضوضاء قد تزعج الضيف: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ} [الذاريات : 26].
- قدم أحسن ما يملك: {فجاء بعِجْلٍ سَمِينٍ} [الذاريات : 26] وليس دجاجة هزيلة.
- {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ}، ولم يقرِّبهم إلى الأكل وهو أبلغ في الإكرام .
- لم يأمرهم بأن يأكلوا بل رجاهم رجاءً رائعًا : {أَلَا تَأْكُلُونَ } [الذاريات : 27]. فقدم أرقى درجة من الإكرام، والتقدير والاحترام.

يا إخواني ويا أخواتي اجعلوا بيوتكم قبلة كما كان أبونا سيدنا إبراهيم υ، افتحوها للناس لا لتكون عزائم وولائم فقط، بل ميدانًا للحب والإيثار والتعاون على البر والتقوى. نبدأ بالعطاء ثم إذا وجدنا من الناس شيئًا من الانحراف عن شرع الله نتخذ موقفا عمليا كما فعل سيدنا إبراهيم υ لما وجد قومه يعبدون الأصنام فبدأ بهذا الحوار الرائع كما تصوره آيات سورة الأنعام : {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ

الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }[الأنعام : 76 - 83] .

هكذا كان سيدنا إبراهيم υ بارعاً مع قومه في استحداث وسيلة عملية وتمثيلية فنية حيث يصطنع اعتقاده أن الكوكب أو القمر أو الشمس آلهة ولكنها لا تصلح لغيابها وتقلُّبها، ثم يدخل في حوار وحِجاج مع قومه، ويتحدث عن ربه أحسن ما يكون، حديث المؤمن المحب لربه، ويظهر عدم خوفه مما يشركون به، ويبين لهم أن الإيمان بالله سيجلب لهم الأمن والأمان، والسعادة والاطمئنان، وهو ما يبحث عنه كل إنسان. غير أنه لم يكتف بالحوار عندما استمروا في عبادتهم للأصنام، فكان هذا الموقف العملي مع ما فيه من مخاطر عليه لكنه أراد أن يؤدي واجبه في نصح قومه فكان هذا الحوار وذاك الموقع العملي الذي تصوره آيات سورة الأنبياء كما قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ *وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ *

أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ *قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } [الأنبياء: 52 – 70] .

هكذا بدأ بالحوار، ثم بتحطيم الأصنام؛ مما جعلهم يُقرون أنهم هم الظالمون، لكنهم تمادوا في باطلهم، واجتمعوا على حرقه فكان العون من الله كاملاً، وتحولت النار الحارقة إلى برد وسلام، وتحول الخوف إلى أمن واطمئنان، فخسروا ونجا، وحمله الله إلى الأرض المباركة فلسطين، ووهبه إسحاق ويعقوب، وجعلهما من الصالحين، واصطفاهم بين العالمين. لكن العجيب الذي يجب أن نتوقف عنده كثيرا في موقف سيدنا إبراهيم من قومه رغم كفرهم وفجورهم وبخاصة قوم لوط، أنه شُغل عن البشرى المزدوجة بإسحاق ويعقوب وهي تعني أنه سيرزق بإسحاق وأنه سيعيش حتى ينجب إسحاق يعقوب، ومع هذه البشريات الربانية العظيمة التي طال انتظاره لها شُغل عنها بالجدال عن قوم لوط ورجاء من الله أن يؤخر عذابهم وأن يتابع دعوته مع قوم لوط عسى أن يتركوا نشوزهم وفجورهم، حتى أخبره الله تعالى أنهم لن يُفيقوا من سكرتهم، وتصور الآيات هذا المشهد العجيب في قوله تعالى: { فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ *إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } (هود:74-76). وهذا يؤكد على أهمية حرص الداعية على قومه، حرصاً ربما يشغل الإنسان عن شؤونه الخاصة بل تطفو آلام قومه على حاجاته ومطالبه الأصلية، وقد هيأ الله ذلك كله في سيدنا إبراهيم عليه السلام ليكون مثالا لكل مسلم أن يفتح قلبه وعقله وبيته لقومه وعشيرته ومجتمعه، إكراماً ونصحاً وإرشاداً وصبراً على أذاهم، ولا شك أن من يفعل ذلك ستحوطه العناية الربانية ليكون على مستوى أسرته وعائلته ومجتمعه أسبق قومه إلى الفلاح والنجاح والفوز في الدنيا والآخرة، مهما لاقى الإنسان من المعارضة والمطاردة، فسيأتي الخلف من الله ثَرياً، على قدر اقترابنا من نموذج المصلح الاجتماعي إبراهيم υ .

وسؤالي لنفسي وإخواني ماذا نحن فاعلون في الأيتام والفقراء والمساكين والمحتاجين ؟ ما ذا نحن فاعلون في تارك الصلاة من أهلنا وقومنا وعشيرتنا؟ ماذا عن الذين أغوتهم الأفلام والمسلسلات وألوان الفساد؟ هل لهم أصحاب يدعونهم إلى الهدى ائتنا؟ لماذا لا

نستضيفهم في بيوتنا، وندعوهم من أعماق قلوبنا، ونأخذ بأيديهم إلى كتاب ربنا، وهدي نبينا، ونستصحبهم إلى بيوت ربنا، وحلقات العلم ليكونوا تلامذة صالحين في حلقات شيوخنا وعلمائنا، ويستشعر هؤلاء قوة حبنا لهم ورغبتنا في أن نكون لهم الصديق الحميم والخِل الناصح الأمين، لنكون معا صحبة في الدنيا في فعل الخير ونفع الغير وفي الآخرة في أعلى عليين من الجنة.

إنني أخشى أن ترتفع الشكوى إلى الله يوم القيامة من هؤلاء الذين أهملناهم بعيدين عن الله: ربِ سَل هذا لماذا رآني أفعل المنكر فلم ينهني؟ وأترك المعروف فلم يأمرني؟ لقد جاء مسلم جديد عرف الإسلام وحده يشكو إلى الله حول الكعبة قائلا: " رباه إني أشكو إليك المسلمين الذين تركوا أبي يموت على غير الإسلام!".

<u>الجانب السادس: الإيجابية مع السلطة السياسية:</u>

لقد كان سيدنا إبراهيم إيجابيا أحسن ما تكون الإيجابية مع سلطة تعلن الكفر واضحا فلم يواجهها بالعنف والقتل والتخريب والدمار بل بالحوار والجدال ، من غير اعتداء ولا اعتزال، كما قال سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[البقرة : 258].

واجبنا الإرشاد والبيان في ثوب قشيب، حجة بالغة في قوة نادرة، اقتداء بسيدنا إبراهيم υ في الإيجابية مع الحوار وسرعة البديهة، وقوة في الإقناع؛ بهتت الكفر وأهله، وبقي نموذجا في التفاعل الدائم لدى من يريد أن يلقى الله تعالى غير مضيِّع لأمانة النصح لله ولرسوله و لكتابه و لأئمة المسلمين وعامتهم، بدلا من الفضفضة بالنكت والطرائف تنفيسا لاحتقان النفس، وتسريبا لغيرة القلب على الحرمات التي تنتهك في كل مكان حولنا.

إن هناك من صفوة المتعبدين من يرى أن السلامة لدينه أن يبتعد عن السياسة وهمومها ، والأمور العامة وتقلباتها، وهذا قطعا يخالف ملة إبراهيم، ويجافي منهجه، ويبتعد عن الهدي النبوي، وهو ركون إلى سلامة لا تدوم في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا ليس دينا بل جبن وخوف وهلع يجب أن يعالج بالنصوص الجليات ومنه قوله تعالى : {إِنَّمَا ذَلِكُمُ

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 175] تخلية عن الجُبن، وتحلية بالشجاعة والأدب والتوكل على الله تعالى كما جاء في قوله تعالى : {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[الزمر : 36] .

بالإضافة إلى التخلية عن الجُبن والتحلية بالشجاعة نريد أن نقرأ كثيرا ونتدبر أكثر، لنمتلك القدرة على الحوار المباشر مع كل المستويات الفكرية والسياسية أو الحوار عن طريق الإنترنت وهنا أسوق قصة تغري بفتح هذا الحوار الجاد حيث ذهبتُ إلى أحد المراكزالإسلامية الأمريكية في ولاية كنتاكي وطلب أحد الأخوة أن نحاور إحدى القيادات الأمريكية على "الماسنجر"، وكانت تسب الإسلام لأنه - حسب معلوماتها - يُهين المرأة ، فقبلتُ بشرط أن يدعو الله ليهديها أثناء حواري معها ، لأننا نحب للناس الهداية. فبدأت بسبٍ فظيع للإسلام ، فامتصصتُ هذا الغضب وأقمتُ الحجة على إكرام الإسلام للمرأة أكثر من أي دين، وبعد ساعة وربع من الحوار ، أدركها فضل الله عز وجل فقالت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، فكبَّر جميع من كانوا معنا في غرفة الحوار.

وأقسمُ بالله أن العالم ينتظر نا كي نت حاور معه، وقد فتح الله أبواب الفضائيات والإنترنت ليكون ابتداءً لكل مسلم ، ليحمل الدعوة و يوصلها لكل ذي خفٍ وحافر ، بعز عزيز أو بذل ذليل، كما قال الحبيب ρ وبشَّر.

<u>الجانب السابع: التخطيط لإصلاح المستقبل:</u>

أخيرًا لم يصلح سيدنا إبراهيم υ عالمه ومجتمعه فقط ، وإنما نظر إلى المستقبل القريب والبعيد ، فكان أول شيء اختاره الشعار العظيم : { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ } [الحج : 78]، وما أجمله من شعار وأروعه من اختيار، كما قال سبحانه: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت : 33].

ورحم الله من قالها اعتزاز ا وافتخ ارا يمتد من واقعنا إلى عمق التاريخ ليصل أجره إلى سيدنا إبراهيم خليل الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

وكان الاختيار الثاني بعد الشعار هو "الرجل"، فأسس لمنهجية أن التغيير والإصلاح يبدأ بوجود الرجل المصلح، القائد الفذ، يبدو ذلك من دعاء سيدنا إبراهيم υ: { رَبَّنَا وَابْعَثْ

فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } [البقرة : 129]، وأورد ابن كثير في البداية والنهاية (256/2) بسند قوي أن الرسول ρ قال: (**أنا دعوة أبي إبراهيم**).

هذه الرؤية الفذة أن الإصلاح يبدأ باختيار شعار ورسالة سامية ولابد لها من رجل يقوم أولا بنشر العلم، سواء كان وحيا أو فكرا مع ارتباط ذلك بالتزكية والتنمية البشرية، ولا يجدي الإصلاح مع كثرة المال وتعدد الخطط ما لم تتضح الرسالة ويوجد القائد المعلم والمربي.

أما واقعنا فيحتاج إلى إعادة بناء، نحن لدينا عربات بلا أحصنة تجرها، و مدراس بلا مربين فيها ، نريد أن نبن ي الحصان قبل العربة، والمربي قبل المدرسة، والإمام قب ل المسجد، والمدير قبل الشركة، عملا بدعاء سيدنا إبراهيم υ.

ها هو سيدنا إبراهيم υ قمة التوازن في اكتمال دوائر الالتزام السبعة ، وهذه هي نقطة النبوغ الأولى، كما بدا لي من جولة التدبر في آيات الله تعالى عن سيدنا إبراهيم كما أفهم من قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [البقرة : 131]،هذا هو المثل الذي يجب أن نقتدي به في كل الجوانب ، في جميع مناحي الحياة ، حُلْوها ومرها ، صغيرها وكبيرها ، ولعل هذا أحد الأسباب الكبرى وراء ذكر سيدنا إبراهيم في التتشهد قبل أن نخرج من الصلاة إلى الحياة حتى نستعيد هذا التوازن، ونكمل حلقات الالتزام في حياتنا.

المطلب الثالث : فجوات في حياتنا وحلول من سيرة سيدنا إبراهيم

إنني أدعو إخواني وأخواتي إذا ذكرنا سيدنا إبراهيم υ في صلواتنا ألا يكون التشهد فقط ل تصح به الصلاة، وإنما نصنع به الحياة ، إن الحياة اليوم فيها الكثير مما يحتاج إلى إصلاح وتغيير، وهذا سيدنا إبراهيم υ نموذج التكامل في علاقته بالله، بأبيه ، بزوجتيه، بأولاده، بمجتمعه، بالنظام السياسي، بحاضره ومستقبله، فليراجع كلٌ منَّا نفسه أين الفجوة التي تباعده من ربه سبحانه وتعالى ؟ وما منَّا من أحد يخلو من فجوة سواء كانت عميقة أو ضحلة، واسعة أو ضيقة، كبيرة أو صغيرة، والشجاع من انتصف من نفسه ليدرك الفجوة الأولى بينه وبين ربه فيعالجها وينتقل إلى غيرها متمثلا هذا النموذج سيدنا إبراهيم υ أمة في رجل.

ومن هذه الفجوات التي أراها خلال جولاتي في أرض الله بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وبلادنا الإسلامية، والعالم الغربي، وأراها رأي العين، أو تأتيني في شكل سؤال أو تحكيم بغرض الوصول إلى حل لها، من ذلك ما يلي:

١. نجد في واقعنا المعاصر شخصا متفوقًا علميًا، لكنه قاسي القلب بعيد عن نور الإيمان لا يبر الوالدين أو يلبي الأذان أو يستصحب الأذكار في الليل والنهار، كما قد نجد المتعبد المتحنث في المساجد لكنه ضعيف علميا أو أخلاقيا أو بدنيا.
٢. نجد في مجتمعنا زوجين سعيدين مهتمين بأولادهما دراسيا، ويفخرون بأنهم يعرفون لغات شتى، ولا يحسن أحدهم أن يقرأ آية واحدة من القرآن، ولا يهتمون بما يصيب المسلمين حولهم في أي مكان.
٣. نجد في بلاد شتى الداعية المتحرك في كل مكان لخدمة دينه ورسالته، لكنه تارك لزوجه وولده دون تربية وتزكية كما يُحدِّث الآخرين.
٤. نجد كثيرا إخوان الصفا على قلب واحد، فإذا خرجوا لإدارة عمل تفرقوا أياديَ سبأ شذر مذر.

٥. نجد في قنواتنا وجرائدنا الإعلامي المسلم الناجح في علاقاته ومهاراته، لكنه شديد التقصير بعلاقاته وبره بوالديه وأصدقائه وأرحامه.

٦. هناك من يهتم بهموم مجتمعه ووطنه في العراق وأفغانستان، وفلسطين والسودان، وفي كشمير والشيشان، وفي الهند وفي الصومال، فهو فارس بالنهار لكنه فاسد بالليل، كثير النوم عن قيام وصلاة فجر وأذكار وورده اليومي.

٧. هناك من يهتم بعبادته وزوجته، ووأولاده وأهله وأرحامه، لكنه قد ينسى فقراء مجتمعه، والمحتاجين في عالمه.

٨. هناك من تظل توقِّره حتى يقترض منك، وتعامله بالدينار والدرهم فتفاجئ أنه شره إلى المال لا يوفي بوعد ولا عهد ولا ميثاق.

٩. في واقعنا الكثير الذي يعجبك في الرضا ويؤلمك في الغضب، ويرضيك في الحضر وتنكره عند السفر، ويتواضع عند الفقر ويستكبر عند الغنى، وهينٌ لينٌ في وظيفته مع أصدقائه وزملائه فإذا عُيِّن مسئولا عليهم أساء إليهم وحوَّلهم إلى أعداء.

١٠. هناك من هو نسمة فيحاء في كل المعاملات لكنه يطوي في عنقه فجوة أخلاقية في لعابه الذي يسيل وراء الغانيات.

١١. هناك من تتمسك بالحجاب في طهر وعفاف، فإذا جاءت إلى حفل زواج لها أو لغيرها عادت إلى التبرج والإسفاف، أو سافرت للنزهة أو التعليم أو العلاج قلدت المجتمع الجديد في السفور والجرأة على الرجال.

١٢. هناك من يدعو على المنابر أو يكتب في الجرائد والمجلات أو ينادي في الفضائيات على تيسير التكاليف والإجراءات في زواج البنين والبنات لإشاعة الحلال وتيسير الزواج وحفظ الحرمات، لكنه عند زواج ابنه أو ابنته مسرف في الطلبات، مرهق في الإجراءات.

١٣. هنالك الكثير من شبابنا وفتياتنا المتحمسين والمتحمسات الذين يحرصون بدقة بالغة ألا يتركوا شيئا من النوافل، لكنهم يضيعون الفرائض والواجبات في التفوق العلمي والتعامل الأخلاقي والتواصل الاجتماعي، فإذا وجدوا من أحد تفريطًا في سُنة مندوبة أو هيئة مستحبة في الصلوات هاجوا على الغير كأنهم قد ارتكبوا المحرمات.

١٤. هناك من يقود الطائرات ويعلو الأجواء ويحصل على جوائز فضية وذهبية وماسية ويزهو بأنه يجوب الأجواء، لكنه لم يخطُ خطوات إلى جاره القريب والصاحب بالجنب واليتيم من ذوي الأرحام على بعد أمتار من بيته.

١٥. هناك من تأنس لمعاملته وتعجب برأيه وتبهرك حكمته لكنه في المجالس الإدارية إذا تعارضت المصالح العامة مع مصلحته الخاصة يلوي عنق الحقائق ويستفرغ جهده في معارضة ودفن أي قرار يمس مصالحه الخاصة على حساب مصالح وطنه ومجتمعه وإخوانه.

١٦. هناك من تعايشه دهرًا فلا تنكر عليه شيئا حتى إذا اختير إلى منصب رفيع تعرف منه وتنكر كأن إشعاع الكرسي أفسد أخلاقه وضيَّع ثوابته.

١٧. نجد في واقعنا من الزاهدين عند فقرهم حتى إذا ذاقوا طعم الغنى انفتحت شهواتهم على عالم من الشره فلا يملأ أعينهم شيء، ولا يشبعون من ثراء.

١٨. يبدو كثير من الشباب في غاية الأدب والخُلق في موقعهم مع آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأساتذتهم حتى إذا اجتمعوا مع زملائهم، وخلوا إلى شياطينهم قلَّدوهم في الخير والشر وتابعوهم في سوء الكلام والتدخين والافتخار بالتفاهات والكذب في سرد المواقف للفت الأنظار والإسراف في النكات الهابطة، فإذا عادوا إلى البيت لا تشك لحظة في حيائهم وأدبهم، أو أن لهم وجهًا آخر مع أصدقائهم.

١٩. هناك من يهشُ لكل من يلقاه إلا زوجته أو والديه، وهناك من تبشُ في وجه كل أحد إلا زوجها أو والديها، ويُعرف كلٌ بين الأخلاء بالظُرف والخفة والسهولة والليونة فإذا عاد أحدهما إلى أهله عاد فظاً غليظ القلب جافي الطبع سليط اللسان.

٢٠. رأيت عددا ليس بالقليل من أصحاب ممن يُعرفون بالتقوى أو الدعوة أو العلم إذا تزوج امرأة أخرى يقابل انفعال زوجته الأولى الشديد - وهو أمر فطري لم تقبله فاطمة ولم ترضه عائشة رضي الله عنهما - لكنه بدلا من استيعاب هذه الأزمات يركن بسرعة إلى الزوجة الجديدة التي يسعدها انفعالات الزوجة الأولى وربما تزكيها بشكل أو بآخر ويقع الزوج المتحنث والمتعبد أو الداعية أو العالِم في ظلمات الظلم والحيف وعدم الوفاء لزوجته الأولى، ويتبع ذلك إهمالا لأولاده منها وربما دفعه إلى حالة من التناقض وانفصام الشخصية وعدم الثقة في أحد، فيكون قد أوردهم مهالك الفتن بعدم الصبر الجميل الطويل حتى يعدل

فيما اختاره لنفسه، حتى لا يلقَى ربه وشقه مائل من ميله إلى الجديدة وتعليق الأولى، وإضاعة الأولاد وفي الحديث الذي رواه النسائي بسنده عن عَبْد الله بن عَمْرو τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: «كفى بالمرءِ إثماً أن يُضيِّع من يعول» (سنن النسائي الكبرى، أبواب حقوق الأزواج، أثم من ضيع عماله، 353/5، ورواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بسند صحيح، 67/11، وأورده الألباني في صحيح الجامع برقم 4480).

٢١. هناك من اشتهر بالمروءة والشهامة مع الناس وهو أكثر قومه سعيًا لخدماتهم وحلاً لمشكلاتهم ومساندة في أزماتهم، لكن المفاجأة أنه لا يساعد أهل بيته أبًا وأمًا، أخًا وأختًا، زوجة وولدًا في أبسط احتياجاتهم، متناسيا ما رواه الترمذي بسنده عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قالَ رسُولُ اللّهِ ρ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لإهلِي» (سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل أزواج النبي ρ، 299/10، حسن غريب صحيح، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: 285، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

٢٢. هناك الأمين على الأموال الذي لا تتحرك نفسه إلى عَرَضَ الدنيا ولو كانت أوزان الجبال، لكنه ينهار أمام شهوة الجنس.

٢٣. هناك من تراهم في المساجد في الصف الأول بل يحرصون أن يكونوا دائما خلف الإمام مباشرة ونفاجئ عندما تأتينا شكاوى مُرة من عُمالهم بسبب عدم إعطائهم حقوقهم المالية، أو شكوى من زوجته واحتقاره لها تابعاً لعرف خاطئ يجعل من الرجل سيدًا وزوجته أمَة بالقهر والاستبداد وليس بالحب والوداد. وقد نفاجئ من شكوى جيرانهم أو أولادهم أو شركائهم في التجارة، وإن كان ذلك ليس ظاهرة لكنه موجود بنسبة ما في مجتمعاتنا.

٢٤. لطالما رأيت في الشرق عامة، وفي الغرب خاصة، لدى كثير من المسلمين عصبية ذميمة في الشهادة والانتخاب، فمع يقين المسلم أن المرشح الآخر أفضل من مرشح عائلته أو جماعته أو مذهبه أو بلده أو لونه أو تخصصه أو جنسه إلا أن الطبع يغلب الشرع، والهوى يعلو على الفطرة، ويصغي الإنسان إلى الشيطان ويدع وراءه نصوص القرآن، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَالله أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء : 135] ، وينسى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ الله

وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[الأنفال : 27]، وينسى أيضا تحذير النبي ρ رغم شدته على قلب كل مؤمن، فقد أورد البيهقي عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن رسولِ الله ρ: «منِ استعملَ عاملاً من المسلمينَ وهو يعلمُ أَنَّ فِيْهِمْ أَوْلَى بذلكَ منهُ وأَعلمَ بكتابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فقد خانَ الله ورسولَهُ وجميعَ المسلمينَ» (السنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب لا يولي الوالي امرأة ولا فاسق ولا جاهل، 100/15، وأورده ابن عدي في الكامل في الضعفاء، الرقم: 219/3، وقال: فيه الحسين بن قيس وهو إلى الضعف أقرب).

٢٥. قد يكون الإنسان من الشاكرين الحامدين في السراء حتى إذا اختبر بشئ من البلاء يصاب بالهلع والجزع، كما قال تعالى: { فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ }[الفجر : 15]، وقوله تعالى: { إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً} [المعارج : 19-20] ، فإذا أصيب في ماله أو صحته أو منصبه أو ولده أو أهله ينقلب جزعا ساخطا على قضاء ربه كما قال تعالى، فكأنه فقط مع الله إذا أوسع له العطاء ساخطا عليه إذا اختبره بشيء من البلاء، كما في قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج : 11] .

٢٦. هناك من المعلمين والأساتذة والمربين من يشار إليهم بالبنان في سعة العلم، وروعة العرض، وقوة الاستيعاب للمتميزين والمتوسطين والمتعثرين، لكنه ما إن يعرض له طالب بسؤال محرج أو يخطئ في حقه خاصة أمام الطلاب، حتى ينقلب من دور المربي والمعالج لأمراض طلابه إلى دور ذي السلطة المنتقم، ويترك الفضل والعدل إلى الظلم والطغيان، ويتعقبه حتى يرسب كل عام، ويترك الدراسة إلى الفشل وعالم الإجرام، ويكون الأستاذ قد حوَّل المعاهد التربوية إلى مؤسسة عقابية.

هذه الفجوات أخبرنا النبي ρ أنها قد تكون أقرب الطرق إلى عذاب الله عز وجل والوصول إلى الإفلاس من الخير رغم النجاح في جوانب أخرى، لكن عورة من العورات أو سلبية من السلبيات قد تكون هي الطريق إلى الخسارة في الدارين، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١. ما أورده الهيثمي في الزواجر بسنده عن أَبي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ رَسُولَ الله قالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ؟» قالُوا المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله من لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، قالَ رَسُولُ الله: «المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ

هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فيقعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »

(الزواجر للهيثمي، رقم: 181/1، والحديث صحيح).

وهناك رواية بلفظ «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ » (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، 116/16)، وهي أبلغ لأن صيغة السؤال جاءت باسم الاستفهام "ما"، حيث تدل على غير العاقل فكأن الإنسان إذا فعل الخير في جوانب وبقيت عنده فجوة في جانب قد صار مفلسا تماما. كما لو تخيلنا طريقا واسعا ممهدًا ناعمًا سلسًا، لكنك فجأة تجد فيه خندقاً واسعاً عميقاً تتساقط فيه كل السيارات، هل يمكن لعاقل أن يرضى السير في هذا الطريق، فكيف نسمح لأنفسنا بفجوات من الأهواء المدفونة أو الشهوات المفضوحة التي تعطل سيرنا إلى الله تعالى؟! وهل يمكن لرجل أن يُبقي زوجة مطيعة، جميلة، رقيقة، ماهرة، مدبرة، ولودًا، لكن فيها عيبا واحدا، أنها تنقل أسرار حياتها الخاصة إلى أمها وصديقاتها؟! أو تتساهل في كلمات الحب مع أصدقاء زوجها أو زملائها في العمل، فضلا عن ارتكاب نوع واحد من الموبقات، وهل يقبل أستاذ لديه طالبٌ متفوقٌ، بارعٌ في كل المواد، لكن له علاقات سرية رديئة مع البنين أو البنات؟! وهل يقبل صاحب شركة موظفاً سريع الإنجاز، حسن المقال، طيب الأخلاق مع كل من حوله، لكنه في الوقت نفسه يعطي أسرار الشركة لشركة أخرى منافسة، أو يأخذ عمولات من المتعاملين من الشركة، أو له علاقة غير شرعية بإحدى الموظفات؟!.

الحق أنه إذا وجدت فجوة واحدة من هذه الفجوات في حياة أحد الرجال أو النساء فإنها تكفي لإنهاء الحياة الزوجية، أو الوظيفية أو مع الأصدقاء، وهي هي الحالة نفسها في العلاقة مع الله تعالى.

٢. روى البخاري بسنده عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ρ قال: «دَخَلتِ امرأةُ النارَ في هرَّةٍ ربطَتْها، فلم تُطْعمْها، ولم تَدَعها تأكلُ من خشاش الأرض» (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحكم، 512/6).

هذه المرأة التي لا نعرف اسمها ولا مكانها ولا زمانها قد تكون أعبد الناس في محرابها، وقد تكون أرقى الناس في حديثها ومقالها، وقد تكون أوسع الناس علماً بين قومها، وقد تكون أوصل الناس لأرحامها، ولكنها حبست هرة حتى ماتت، وعذَّبت روحا حتى نفقت؛ فكان جزاؤها بسبب هذه

الجريمة فقط أن دخلت النار، وهذا أمر يجب أن يتوقف أمامه كل من يعمل في أية سلطة أو مخفر شرطة أو سلك قضائي، لأنه يسعى بنفسه إلى قعر جهنم بظلم إنسان واحد فيقتص الله منه بعدْله وحوْله وطوْله، والواجب هنا هو المبادرة إلى التوبة النصوح والتي من شروطها إذا تعلقت المظالم بحق الغير أن يستحله من حقه، وأن يستسمحه في مظلمته، ولو أن يعوضه حتى يشفي صدره، ولا يجوز أن نصغي إلى هوى النفس ووساوس الشيطان أن لنا أفعالا من الخير نحن لها فاعلون تغطي على هذه المظالم في حق الآخرين، لأن الله تعالى يقول: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف : 49]، فمن ظلم فله الحق أن يقتص له أو يستسمح، وهذا حبيبنا ρ مع رقته وعدله وإنصافه قبل أن يلقى الله يجمع المسلمين جميعا ويقول لهم: «اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له زكاة ورحمة» (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه وليس هو ـ ـرقم2601).

فهذا هدي نبوي يجب أن يقتدي به كل من يخشى الله ويخاف عذابه ويحذر من سخطه ويشفق من لعنته، حيث يقول سبحانه: {أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود : 18]، وقال سبحانه: { وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً} [طه : 111]، وهي خيبة في الدنيا والآخرة.

٣. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة τ قال: «قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار. قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأثوار (أي قطع) من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في الجنة» (مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرةτ، 184/3، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: 369/1، إسناده صحيح).

هذه المرأة أيضا التي ذُكرت للنبي ρ بتزكية عالية أنها صوامة قوامة، قد يكون لها من جوانب الخير الأخرى التي لا يعلمها إلا الله، لكن فيها عيباً واحداً وهي فجوة خطيرة أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقط ليس بأفعالها ولا بمكرها إنما مجرد كلمات باللسان، وهي أقل جرما من القتل الذي ورد في الحديث السابق، ومع هذا أخبر النبي ρ أنها في النار، و يروي الترمذي بسنده عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ τ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النبيِّ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، .... قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ:

يَا نَبِيَّ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أمّك يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »، (سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في صفة الصلاة، 348/7، حسن صحيح). فحديث معاذ كأنه يشير إلى خطورة اللسان وآفاته العِظام، حتى يورد صاحبه النيران. مع ما قد يوجد عند هذا الإنسان من سلامة صدر وعدم القصد إلى إيذاء غيره، لكنه إذ لم يضبط لسانه كبَّه على وجهه في النار.

٤. ما رواه مسلم بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: قلنا : «يا رسول الله ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال : رسول الله ρ: أما أنه من أهل النا ر، فقال : رجل من القوم : أنا صاحبه أبدا ، قال فخرج معه ، كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ρ فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وما ذاك؟ ، قال : الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحا شديدا ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال : رسول الله ρ، عند ذلك إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل - -، رقم: 112).

هذا الحديث العجيب الذي أبلى فيه هذا الصحابي بلاء حسنا في اليوم الأول من معركة خيبر حتى قالوا: "ما أجزأ منا أحد كما أجزأ فلان" وكانت المفاجأة للجميع: إنه من أهل النار، وفي الحديث أن ذلك أصاب الناس بالذهول مما دفع أحد الصحابة أن يستكشف خبره فرآه مع هذه الشجاعة النادرة لم يتحمل جرحه فقتل نفسه واستحق أن يكون من أهل النار.

هذه الجولة بين الأحاديث النبوية سواء في حديث المفلس أو المرأة التي عذبت هرة أو التي آذت جيرانها أو الشجاع الذي قتل نفسه تصب في أمر واحد أن هناك فجوة في شخصية كل واحد منهم حالت بينه وبين رضا الله والجنة بل أوردتهم النار، ونحن تربويا بعد دراسة سيرة "سيدنا إبراهيم υ أمة في رجل" يجب أن نأخذ هذه الصورة الكاملة في جوانب الالتزام السبعة لنسد هذه الفجوات في حياتنا، وبالقطع لن نصل إلى كمال الالتزام مثل سيدنا إبراهيم υ فهو النبي الرسول المعصوم، لكن

على الأقل أن نجاهد أنفسنا وشيطاننا حتى لا تكون عندنا خصلة من النفاق أو واحدة من الكبائر أو السبع الموبقات، وإن بقي اللمم من الزلات مما يرجى معه النجاة بين يدي الله تعالى، كما يقول سبحانه عن المؤمنين: { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ }[النجم : 32]. وهذا هو الدرس العملي الأول الذي يجب أن نستحضره في كل صلاة عندما نذكر سيدنا إبراهيم υ في التشهد وفي كل آية يرد فيها ذكر سيدنا إبراهيم υ، ليكن همنا الأول كيف أتبع ملة سيدنا إبراهيم υ حتى لا أُسَفِه نفسي، كما قال سبحانه: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [البقرة : 130]. فنكون شجعانا في معرفة أهم جوانب الخلل والفجوات والعلل قياسا على هذا النموذج المتكامل من سيرة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا كمال الصلاة والتسليم.

كل هؤلاء يحتاجون لإعادة بناء هذه الجوانب المفقودة قبل أن نلقى الله فنجد أنفسنا في بوتقة غضب الله أو في قعر جهنم والعياذ بالله، مثل المجرم الذي يخالف مادة في القانون ويعُاقب بالسجن مدى الحياة، ولا يستطيع أن يدَّعي التزامه بالقوانين ما عدا مادة واحدة؛ حتى ينال البراءة من جرمه.

نريدُ أن نصنع حياتنا من جديد في كل جوانبها، كما نرى إقبالاً على الصف الأول في المسجد، نريد أن نرى مؤسسات وشركات إنتاجية ناجحة مثالية على منهج الإسلام، كما نرى أخًا وأختًا في غاية النضج العلمي، نريد أن يكونا في غاية الحب القلبي إذا تزوجا، والتفاهم العقلي والتناغم الجسدي .

نريدُ أن نرى إحساساً بهموم من حولنا فنعيش هموم أُمَّة لا هموم أمَة كما كان سيدنا إبراهيم υ "أُمَّة في رجل".

أما كيف نتغير عمليا لإحداث التوازن الذي فصلته في هذه الدراسة فلعلي أحيل - منعا للتكرار - إلى هذه الكتيبات التربوية العملية الواقعية التي ألَّفتُها لخدمة من يسعون مخلصين جادين لتغيير أنفسهم أولا ثم إصلاح مجتمعهم وإعزاز أمتهم وإنقاذ عالَمهم ثانيا، ومن هذه الدراسات التربوية:

١. الصراع مع الشيطان.
٢. الصيام لجام الشهوات الأربع.
٣. ثوابت الإيمان بعد رمضان.
٤. الوسائل العملية الخمسة لإصلاح قسوة القلوب.
٥. هجرة الدعاة أم الرعاة.

كُن أُمة وأنت رجل، اترك وراءك بصمة ربانية، كما قال سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم υ : { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الزخرف : 28]، ترك وراءه كلمة الله يهتدي بها الناس، لا تذهب إلى مسجد إلا وتترك نورًا "كلمة لله"، مكتبة للقرآن مفتوحة ، كتابًا موزعًا ، خيرًا منتشرًا، مثالاً نادرًا، كفالة ليتيم، إحساسًا بإخوانك في فلسطين، مشاركة في رأب الصدع في العراق بعد أن تمزق، نريد أن نساهم وأن نشعر أن هذه أزمتنا في بيتنا وليست أزمة خارج عالمنا .

أسأل الله أن يهدينا لأرشد أمرنا، وأن يجعلنا على ملة "سيدنا إبراهيم υ أمة في رجل".

الخلاصة

١. لسيدنا إبراهيم υ حضور كبير في القرآن الكريم والسُنة، حيث ذكر 69 مرة، منها ما يؤكد ارتباط الأمة كلها به لأنه سمانا "المسلمين"، ووجوب اتباع ملته وأنه أبو الأنبياء، كما تؤكد على ارتباط شعيرة الحج بسيدنا إبراهيم υ؛ فهو الذي رفع القواعد من البيت مع ولده إسماعيل υ، وقام بتطهير البيت، وأذن في الناس بالحج، ودعا لمكة بالأمن أولا ثم بالبركة في الرزق ثانيا، وأمرنا أن نتخذ مقامه مصلى، كما أكد القرآن على أولوية المسلمين به دون المِلل الأخرى.

٢. أكدت السُنة النبوية على ما جاء في القرآن الكريم وأضافت تفصيلاً ومعاني جديدة، منها أن سيدنا محمدا ρ هو أشبه شيء – خَلقاً وخُلقاً - بجده سيدنا إبراهيم υ، وفصلت الأحاديث في قصة سيدنا إبراهيم υ وزوجته سارة مع الملك الظالم، كما قدمت السُنة تفصيلا كبيرا حول قصة السيدة هاجر وإسماعيل υ وبدء العمران حول الكعبة ببركة وجودهما، وبَيَّنت أن النبي ρ دعا للمدينة بمثلي ما دعا سيدنا إبراهيم لمكة أمناً وسعة رزق، كما فصلت في قصور بناء الكعبة على قواعد سيدنا إبراهيم υ، وهناك تفصيل أكثر حول ارتباط شعيرتي الصلاة والحج بسيدنا إبراهيم υ، وقدمت السُنة خصوصيات فريدة لسيدنا إبراهيم υ أنه خير البرِية، وأنه أول الخلائق يُكسى يوم القيامة، وأنه طويل القامة حوله الولدان المخلدون في الجنة، وأنه أول من ضيَّف الضيف، واختتن، وقص الشارب، وفرح بالشيب.

٣. يبدو لي - بحق - أن أكبر نقاط تميز سيدنا إبراهيم υ هو اكتمال جوانب الالتزام السبعة، وهي: علاقته بربه، وأبيه، وزوجتيه، وولده، وقومه، والسلطة السياسية، وإصلاح المستقبل، دون أدنى درجة من الإخلال بأيٍّ من هذه الجوانب.

٤. حمل سيدنا إبراهيم υ في قلبه وعقله أرقى العلائق مع الله تعالى قنوتاً وإخباتاً، وشكراً ودعاءً، وحلماً وإنابةً، وتماماً ووفاءً، فكان رمزاً في كمال التسليم لأمر الله تعالى مهما كان الأمر شديدا على النفس.

٥. وقد جاءت علاقته υ بأبيه رغم كفره وشدته نموذجاً يقتدى، ومثالاً يحتذى في الرفق والأدب، والنصح وطيب الخُلق، مما نحتاج معه أن نراجع مفاهيم الولاء والبراء مهتدين بهدي سيدنا إبراهيم υ مع أبيه.

٦. لقد ضرب سيدنا إبراهيم υ المثل الأعلى في حُسن العِشرة مع زوجتيه في العدل بينهما عامة، وفي الربانية والحكمة مع زوجته الأولى سارة خاصة في المحنة مع الملك الظالم الذي أراد اغتصابها، ومع زوجته الثانية هاجر لما حملت ووضعت إسماعيل υ فوضعها بجوار بيت الله الحرام وتعاهدها مع ولدها بشكل دائم، كما كان نموذجا يقتدي لكل الأزواج عند العقم والإنجاب.

٧. يقدم سيدنا إبراهيم υ مثالا أروع في تربية أولاده فهماً وتطبيقاً حيث كان مهتماً بالتربية الإيمانية أولاً، ثم التربية الاجتماعية ثانياً، والمادية أخيراً، وعملياً: كان يأخذ أولاده معه إلى المسجد، والتزم منهجية الحوار مع أولاده في كل موقف، حتى في المقطوع به شرعا، كما اعتمد منهجية الوصية لأولاده في حياته وبعد وفاته، مما يوجب مراجعة مناهج ووسائل التعامل مع أولادنا في ضوء هذا الهدي الإبراهيمي.

٨. تتجلى مواقف سيدنا إبراهيم υ مع قومه في البدء في العطاء وشدة الحرص على قومه قبل النصح والتوجيه، وفي جعل بيته قبلة للضيفان وذوي الحاجات، ثم ابتكار وسائل جديدة في الدعوة، مثل تصنعه أنه يؤمن بأن الكوكب أو القمر أو الشمس آلهة يمكن أن تعبد، ثم حزمه بعد ذلك في تكسير الأصنام، واحتماله البلاء في سبيل نشر عقيدته بين قومه، مما يؤسس لضرورة الذكاء الاجتماعي والعطاء الإنساني مع التجديد والابتكار في وسائل الدعوة.

٩. يقدم سيدنا إبراهيم υ نموذجا آخر في الإيجابية الراشدة مع السلطة السياسية مهما كانت ظالمة كافرة ملحدة فلم يعتزل النمروذ أو يعتدي عليه، بل اختار الحوار

القوي والحِجِاج الذكي؛ حتى بُهت الذي كفر، مما يؤسس لضرورة العمل السياسي الراشد.

١٠. لم يكتفِ سيدنا إبراهيم υ بإصلاح زمانه الذي عاش فيه بل كان مُلهماً في وضع معالِم إصلاح المستقبل إلى يوم القيامة، في اختيار الشعار والاسم الرائق السامي "المسلمين"، ودعا الله أن يبعث في الأمة رجلاً، وحدد مهامه في التلاوة والعلم والتزكية، فالإصلاح يبدأ إذن باختيار الرسالة ثم الرجل الفذ الذي يحمل الرسالة إلى الناس أجمعين.

١١. إذا أردنا إصلاح واقعنا المعاصر فلابد أن نعالج الفجوات الحادة في حياتنا التي تباعدنا عن الاقتداء بسيدنا إبراهيم υ في اكتمال جوانب الالتزام السبعة، حيث نجد من يهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب الفكري، ونجد من يهتم بالمفردات العلمية وهو قاسي القلب، ومن يهتم بعقله وقلبه وهو جافي الخُلق مع أب وأم، وأخ وأخت، وزوج وولد، وجار ورحم، وأصدقاء وخلان، وهناك من تناقض شعائره التعبدية معاملاته اليومية، وهناك من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابته فتنة في أهله، أو ولده، أو بدنه، أو ماله، أو حريته، انقلب على وجهه، وهناك من هو بارع في تجارته، فاشل في علاقته مع زوجته، وتربيته لولده، وهناك من يُعرف بكل صنائع الخير في فقره دون غناه، في رضاه دون غضبه، في صحته دون مرضه، في شخصه دون مشاركة في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي والسياسي، وهذه كلها فجوات تحتاج – بغاية الجدية – إلى استدراك الأمر قبل أن نلقى الله فنكبُ على وجهنا في النار، في الوقت الذي كان في الإمكان حُسن الاقتداء بملة سيدنا إبراهيم υ وهدي سيدنا محمد ρ خير المرسلين، كي نسد هذه الفجوات في حياتنا أجمعين.

المحتوى

تقديم.

المقدمة.

المطلب الأول: سيدنا إبراهيم υ بين القرآن والسنة.

الجانب الأول: سيدنا إبراهيم υ في القرآن الكريم.

-أولا: ارتباط اسم الأُمة كلها بسيدنا إبراهيم υ.

-ثانيا: وجوب الاتباع لملة سيدنا إبراهيم υ بعد صدق الإيمان به .

-ثالثا: سيدنا إبراهيم υ أبو الأنبياء .

-رابعا: ترتبط شعيرة الحج بسيدنا إبراهيم υ .

-خامسا: نفى الله تعالى أولوية غير المسلمين بسيدنا إبراهيم υ .

الجانب الثاني: سيدنا إبراهيم υ في السنة النبوية:

-أولا: سيدنا محمد ρ أشبه شيء بجده سيدنا إبراهيم υ.

-ثانيا: سيدنا إبراهيم υ وزوجته سارة والملك الظالم.

-ثالثا: سيدنا إبراهيم υ وأسرته وبيت الله الحرام.

-رابعا: سيدنا إبراهيم υ وتحريم مكة والدعاء لها البركة.

-خامسا: قصور بناء الكعبة عن قواعد إبراهيم.

-سادسا: ارتباط مناسك الحج بسيدنا إبراهيم υ.

-سابعا: ارتباط شعيرة الصلاة بسيدنا إبراهيم υ.

-ثامنا: خصوصيات فريدة لسيدنا إبراهيم υ في السنة النبوية.

المطلب الثاني: سيدنا إبراهيم υ واكتمال جوانب الالتزام السبعة:

- الجانب الأول : سمو علاقته بالله عز وجل.
- الجانب الثاني : البر بالأب حتى لو كان الأب كافراً .
- الجانب الثالث : حُسن العشرة مع زوجتيه.

- الجانب الرابع : حُسن تربيته أولاده.
- الجانب الخامس : إكرام ونصح قومه ومجتمعه.
- الجانب السادس: الإيجابية مع السلطة السياسية.
- الجانب السابع: التخطيط لإصلاح المستقبل.

المطلب الثالث: فجوات وحلول من سيرة سيدنا إبراهيم υ.

الخلاصة.

المحتوى.

كلمة الغلاف:

هذا الكتاب معايشة قلبية عقلية وجدانية، مع السيرة النَّدِية لسيدنا إبراهيم υ في القرآن والسُنة النبوية، واستنباط أرقى جوانب التميز في سيدنا إبراهيم υ وهي اكتمال جوانب الالتزام السبعة: في علاقته بربه، وأبيه، وزوجتيه، وولده، وقومه، والسلطة السياسية، وإصلاح المستقبل، مع إسقاط ذلك على إصلاح الفجوات الحادة في حياتنا اليومية سواء الروحية أو الفكرية أو الخُلقية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإعلامية أوالسياسية؛ أملاً في الاجتهاد في سد هذه الفجوات استلهاماً حقيقياً لا وهمياً من سيرة سيدنا " **إبراهيم υ أُمة في رجل**".